التوجيهات السنية في بيان أهم:

عوائق الدعوةالسلفية

تأليف

أبي عمرو عبدالكريم بن أحمد بن حسين الحجوري العمري

تقديم فضيلة الشيخ /يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، أما بعد: -

فقد اطلعت على رسالة التوجيهات السنية لأخينا الفاضل الشيخ: أبي عمرو عبدالكريم الحجوري حفظه الله، فرأيتها مفيدة تحتوي على نصائح قيمة، ذكر بعض أهم الأمور التي تعترض الدعوة السلفية، مع بيان أهم وسائل النجاح في الدعوة إلى الله وغيرها. فجزاه الله خيرًا.

وكتبه: يحيى بن علي الحجوري بتاريخ ١٥/ ربيع الثاني/ ١٤٢٣.

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وشر الأمور محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

روى مسلم في صحيحه برقم (٢٦٢٦) عن أبي ذر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».

بعد نفاد الطبعة الأولى من هذه الرسالة أقدمها للطبعة الثانية رجاء المنفعة

بها. وقد راعيت فيها الاختصار، و إفادة القارئ، وتنبيه الغافل، من غير إسهاب ولا تطويل لأن ما من فصل فيها إلا وهو يحتمل مؤلفًا بذاته، ومنها ما قد أُلف فيه مؤلفًا وحده، كما ذكرت في الطبعة الأولى.

وذكرت فيها أهم ما يعرقل سير الدعوة السلفية المباركة (دعوة الحق).

والدعوة السلفية هي دعوة الله، والله يحفظها ويرعاها، وليست هذه العوائق خللاً في الدعوة، وإنما هي في غيرها، وقد يحصل بعض هذه العوائق في بعض من يحملها ويبينها للناس، وبعضها في أعداء هذه الدعوة يواجهونَها به.

لا غرو إن أوذي أهل التقى ... كل إمام بالأذى قد بُلي
ما سلم الصديق من رافض ... ولا نجا من ناصبيٍّ علي
يا أيها الرامي لهم في دجى ... من جهله إن الدجى ينجلي
بأنجم من علم أعلامهم ... تعارض الشك أم بأمر جلي

وعلى كلٍ ومهما حصل فالدعوة السلفية هي السائدة، وهي المقبولة عند النفوس الطيبة، والفطر السليمة، وكلما اشتد تنفير أعداء الإسلام وأهل البدع والأهواء منها، اشتد وثوق أهل الحق بهذه الدعوة المباركة ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة:٣٢].

ومع ذلك لا نأمن أن يحصل ابتلاء لهذه الدعوة: ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف:٢١].

وكتبه: أبو عمرو عبدالكريم بن أحمد بن حسين الحجوري العمري.صعدة دار الحديث بدماج حرسها الله ورحم الله بانيها وحفظ خليفته.٧/ ١٠/ ١٤٢٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

أما بعد: فيقول الله جل في علاه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف:١٠٨]. ويقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣]. ولما كانت الدعوة إلى الله تعالى هي أفضل الرتب وأعلى المناصب، وشهادة من رب العالمين، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وقد رأيت في الزيارة قبل الأخيرة في الخروج إلى الدعوة في البلاد، رأيت فترة في الدعوة، والنبي ﷺ يقول: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ. وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ» عن عبدالله بن عمرو رواه أحمد رقم (٦٩٥٨) وهو صحيح.

فقد رأيت أن أكتب بعض الأمور المهمة التي تعرقل سير هذا الدعوة السلفية المباركة؛ لأجل أن تكون نبراسًا يستضئ به الداعي إلى الله في طريقه، ومع استصوابي لهذا الرأي، لكنني آثرت ما أنا فيه من غير هذا الموضوع، ورأيته أنفع، فتركت هذا الموضوع، ولكن لزم النُزول مرة أخرى، لأمور تَهُم الدعوة -وهذه الزيارة الأخيرة من الآن- فرأيت أن الأمر جدٌ وليس بالهزل، فعزمت عليه واستعنت بالله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨].

كتبه أبو عمرو عبدالكريم الحجوري ١٨/ ربيع أول/ ١٤٢٣.

عدم الإخلاص أو ضعفه

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

روه البخاري برقم (٦٦٨٩) ومسلم (١٩٠٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥].

فشروط قبول العمل عند الله تعالى هي:

١- الإسلام.

٢- الإخلاص .

٣- متابعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإذا اختل واحد منها بطل العمل.

وروى مسلم في «صحيحه» برقم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

فمن كانت نيته صادقة مع الله، وعمله خالصًا لوجه الله -عز وجل-، فإنه

سينجح في عمله لله اليوم، أو غدًا، أو بعد غدٍ، كما كان يقوله شيخنا مقبل رحمه الله.

روى مسلم في «صحيحه» برقم (٣٠٠٥) عَنْ صُهَيْبِ بنِ سِنَانٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلامَهُ، فَأَعْجَبَهُ. فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ.

فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ.

فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ.

فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ

حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ. فَجِيءَ بِالْغُلامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ، وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ.

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ، حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ.

فَأُتِيَ الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ. فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ. وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ.

ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَ اللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا».

رواه البخاري معلقًا برقم (٢٢٩١)، ووصل منه برقم (٢٠٦٣) عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل خرج في البحر فقضى حاجته» وساق الحديث[1] اهـ.

وروى مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٩) عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ».

فتدبر! هذا الرجل الذي أخلص نيته تحصل له الشهادة وإن مات على فراشه، والآخر يقاتل في المعركة بل ويقتل في صف المسلمين يقتله الكفار لما فسدت نيته يؤمر به إلى نار جهنم، عياذًا بالله.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ

---

[1] كذا قال البخاري رحمه الله.

قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

عدم الصبر أو ضعفه

إن الصبر من الضروريات لكل عمل، وعمل لايحالفه الصبر، فحليفه الفشل، قال الله جل في علاه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

فالصبر على المخالفين أمر مطلوب قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]، وإلا فالفشل والانقطاع، قال الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل:﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦] .

وقال تعالى:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[الكهف:٢٨].

بل الصبر من سنن الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ [الفرقان:٢٠].

وحتى أعداء الله الكفرة يوصي بعضهم بعضاً بالصبر قال الله عنهم: ﴿إِنْ كَادَ

لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان:٤٢] ، وقال الله تعالى: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[ص:٦] .

فالصبر طريق النجاح ، والفوز والفلاح قال الله تعالى عن لقمان وهو يوصي ولده بالصبر:﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان:١٧]، وقال الله جل في علاه:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كما في مجموع الفتاوى(٣/ ٣٥٨):

(فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين)اهـ.

وقال الله تعالى :﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[غافر:٧٧]، فما يوفق للصبر في هذه الدعوة إلا من وفقه الله قال تعالى:﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾]فصلت:٣٥]

ولذلك قال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:٤٨] .

وفي سنن أبي داود برقم(٤٢٦٣) عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ ايْمُ الله لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:« إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا». أي فوا عجبًا له.

هذا حديث حسن.

أصحاب الأوجه المتعددة

لقد ذمَّ الله سبحانه المتلونين، الذين تارة مع هؤلاء، وتارة مع هؤلاء؛ فقال جل في علاه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣]، وفي صحيح مسلم برقم(٢٧٨٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٤٩٤) ومسلم برقم(٢٥٢٦)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« قَالَ تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ».

وهؤلاء المنافقون يدخلون في صف السلفيين، فيفعلون فعل المنافقين المتقدمين، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[آل عمران:٧٢] ، وقال تعالى:﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[النساء:١٤١] ، فهؤلاء يشككون في الحق، ويوقعون الناس في الباطل.

فتارة سُني! وتارة إخواني! وتارة مؤتمري، وما أشبه هؤلاء بما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٣/ ٣٦) عن الشيخ أبي البركات محمد بن أحمد بن سعيد التكريتي المعروف بـ (المؤبد) وما قاله في الوجيه النحوي حين كان حنبليًا فانتقل حنفيًا ثم صار شافعيًا، قال:

ألا مبلغًا عني الوجيه رسالة ... وإن كان لا تجدي لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبلٍ ... وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي ديانة ... ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر ... إلى مالك فانظر إلى ما أنت قائل!

وإذا قلت له لم فعلت هذا الأمر وهو معصية لرب العالمين؟

قال :أنا أعرف أنه محرم؛ ولكن فعلته للمصلحة؛ ويعني بها المصلحة الدنيوية ! ويقول أفعل كذا لمنفعتي!

فأي مصلحة في المعصية ؟ قال الله جل في علاه:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[التوبة:٤٩]، فاحذر أيها السني على نفسك من هؤلاء المذبذبين، الذين أنت المقصود من مكرهم وتلونهم؛ أن يزحزحوك عن عقيدتك ومنهجك، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:«لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ».

رواه البخاري برقم (٦١٣٣)ومسلم برقم(٢٩٩٨).

الاشتغال بالدنيا

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس:٢٤].

وروى مسلم في «صحيحه» برقم (٢٨٥٨) عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «وَالله مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ».

وسواء كان الاشتغال بالدنيا من الداعي أو المدعو، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِي. إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

ويقول الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

فدولة الإسلام التي كَسرت كسرى، وقصرت قيصر، وهدت معاقل الكفر والشرك بالله؛ ما كان عمادها دينارًا ولا درهمًا، ولا تأسست على دنيا.

بل إنما قامت بعد الاعتماد والثقة به على فاقة وفقر مدقع، وجوع مفظع.

روى مسلم في «صحيحه» برقم (٢٩٧٨) عَنِ النُّعْمَانِ قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنْ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. والدقل رديء التمر مع وجوده في المدينة، ما وجده رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

وروى البخاري وهذا لفظه، برقم (٤٠٨٢) ومسلم برقم (٦٤٠) عَنْ خَبَّابٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ نَبْتَغِي وَجْهَ الله، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يَتْرُكْ إِلا نَمِرَةً كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاهُ، وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الإِذْخِرَ** - أَوْ قَالَ-: **أَلْقُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ الإِذْخِرِ**».

وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا.

وفي «صحيح البخاري» برقم (١٢٧٤) أَنَّ عَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أُتِي يَوْمًا بِطَعَامِهِ، فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ، إِلا بُرْدَةٌ. وَقُتِلَ حَمْزَةُ -أَوْ رَجُلٌ آخَرُ- خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلا بُرْدَةٌ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُجِّلَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي.

وزاد البخاري برقم (١٢٧٥) حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ.

وفي «صحيح مسلم» (٣/ ١٦١٤) عن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: جئت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يومًا، فوجدته جالسًا مع بعض أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة -قال أسامة (أحد الرواة): وأنا أشك على حجر-، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بطنه؟ فقالوا: من الجوع!

وَعَنْ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: إِنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلا وَرَقُ

الشَّجَرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلامِ، لَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ عَمَلِي.

رواه البخاري برقم (٣٧٢٨) وهذا لفظه، ومسلم (٢٩٦٦).

وفي «صحيح مسلم» برقم (٢٩٦٧) عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا. وَوَاللهِ لَتُمْلأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ.

وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنْ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مَا لَنَا طَعَامٌ إِلا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنْ الأَمْصَارِ.

وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبُرُونَ، وَتُجَرِّبُونَ الأُمَرَاءَ بَعْدَنَا.

وفي ظل هذه الظروف المعيشية الصعبة، فتحت كثير من الفتوحات، وحصل كثير من الانتصارات.

كنـا جبـالًا في الجبـال وربـما صرنا على موج البحار بحارا
لن تنسَ إفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا
كنـا نقـدم للسـيوف صـدورنا لم نخـش يومًـا آثـمًا كفَّـارا
كنا نرى الأصنام من ذهب فنهـدمها ونَهـدم فوقهـا الكفـارا

وروى الترمذي وأبو داود عن أبي عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة ابن عبيد. فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! يلقي بيديه إلى التهلكة.

فقام أبو أيوب الأنصاري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فقال: أيها الناس، إنكم لتتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥]، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو. فما زال أبوأيوب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

الحديث في «الصحيح المسند من أسباب النُزول» لشيخنا مقبل رحمه الله.

فإذا اشتغل الداعي إلى الله بالدنيا قد يضيع الواجب الذي أوجبه الله

عليه، وترك الرتبة العليا، والشرف العظيم، وأفضل وظيفة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣].

فالدعوة إلى الله أعلى الرتب، وأشرف المقامات، وما هناك أحسن منها بنص الآية المتقدمة.

كذلك إذا اشتغل المدعو بالدنيا قد تفوته حلق الذكر، ومجالس الصالحين، أو فرَّط في ذلك، أو في الواجبات، وما هو خير له في الدنيا والآخرة لو عقل.

وليس المعنى أننا نحرم طلب الرزق، أو نريد ترك الدنيا بالكلية، بل ينبغي للداعي إلى الله أن يكون له مصدر رزق يعينه على التفرغ لعبادة الله والدعوة إليه، حتى لا يمنّ عليه أحد من البشر، ولكن المحرم إذا كانت الدنيا على حساب الدين، وطلب الاستكثار منها، أو إذا اشتغل بها عن طاعة الله، وطلب مرضاته.

لإن كنت في الدنيا بصيرًا فإنما ... بلاغك منها مثل زاد المسافر

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما أخذت منه فليس بضائر

وينسب إلى الشافعي رحمه الله أنه قال:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها ... وسيق إلينا عذبُها وعذابُها

فما هي إلا ضيعة مستحيلة ... عليها كلابُ همهن اجتذابُها

فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها ... وإن تجتذبْها نازعتك كلابُها

فمن أجل الدنيا والله سفكت الدماء، وقطعت الأرحام، وارتكبت أعظم

الجرائم والآثام، وقال الإمام ابن قيم الجوزية في كتاب الطب النبوي المطبوع مع زاد المعاد(٤/ ٢٨٣) في ترجمة الذهب :

هذا وإنه أعظم حائل بين الخليقة وبين فوزها الأكبر، يوم معادها وأعظم شئ عصي الله به، وبه قطعت الأرحام، وأريقت الدماء، واستحلت المحارم، ومنعت الحقوق، وتظالم العباد، وهو المرغب في الدنيا وعاجلها، والمزهد في الآخرة وما أعده الله لأوليائه فيها، فكم أميت به من حق، وأحيي به من باطل، ونصر به ظالم، وقهر به مظلوم، وما أحسن ما قال فيه الحريري:

تبا له من خادع مماذق ... أصفر ذي وجهين كالمنافق

يبدو بوصفين لعين الرامق ... زينة معشوق ولون عاشق

وحبه عند ذوي الحقائق ... يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق

لولاه لم تقطع يمين السارق ... ولا بدت مظلمة من فاسق

ولا اشمأز باخل من طارق ... ولا اشتكى الممطول مطل العائق

ولا استعيذ من حسود راشق ... وشر ما فيه من الخلائق

اهـ كلامه .

فالله الله في جعل الدنيا وسيلة للآخرة، وسبيلاً لرضا الله عز و جل، ومسخرة ذليلة حقيرة في خدمة الدين، ووسيلة للدنيا، والحذر من فتنه الدنيا فإنه سبيل الفشل، وطريق الحرمان.

التقهقر

من المعلوم أو مما ينبغي أن يعلم أن طريق الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ليس طريقًا مفروشًا بالورود، وعن جنبتيه الرياحين والزهور، بل هو طريق شاق محفوف بالأشواك والمخاطر، ولا يسلك هذا الطريق إلا الأفذاذ من الرجال، وفحول الذكور، كيف لا، وهو طريق خير خلق الله؛ الأنبياء والرسل عليهم صلوات ربي وسلامه.

يقول الإمام الزهري: علم الحديث لا يحبه إلا ذكور الرجال، ولا يبغضه إلا إناثهم.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[المزمل: ٥].

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

فهي أفضل وأشرف وظيفة -أي: الدعوة إلى الله-، وخير عمل يقوم به المسلم إذا عمل صالحًا. ولذلك يقول الله تعالى بعد آية تلوها: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]. فلا يقوم بِهذا العمل الشريف إلا من أتاه الله صبرًا، وكان عظيم الحظ حتى حصل له هذا الخير.

وإن تكن النفوس كبارًا ... تتعب في مرادها الأجسام

وقال الآخر:

نفس عصام سودت عصامًا ... وعلمته الكر والإقدام

وصـــــيرته ملكًـــــا همامـــــاً حتـــى عـــلا وجـــاوز الأقـــوام

ويقول الآخر:

عـلى قـدر فضـل المـرء تـأتي خطوبـه ويحمـد منـه الصـبر ممـا يصـيبه

فمـن قـل ممـا يلتقيـه اصـطباره لقـد قـل فـيما يرتجيـه نصـيبه

فإذا سلك الطريق من لا يحسن السير فيها، فترت همته، وضعفت قواه، وتراه يتأرجح، ويرجع القهقرى، وحاله كما قيل:

غزلت لهم غـزلاً نسيجًا فلـم أجد لغـزلي نسـاجًا فكسـرت مغـزلي

وقال الآخر:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقـن أنـا لاحقـون بقيصر

فقلـت لا تبـك عينـاك إنـما نحـاول ملكًـا أونمـوت فنعـذر

وهذا الملك هو ميراث النبوة، أما ملك الدنيا فأهل السنة أبعد الناس عنه، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

وسمعت جارية لهارون الرشيد بجلبة رجال خلف قصر هارون، فأطلَّت من النافذة وقالت: ما هذا؟ قالوا: عبدالله بن المبارك. قالت: فماذا إذا كان عبدالله بن المبارك؟! قالوا: عالم خراسان ومفتيها. قالت: هذا والله هو الملك، لا ملك هارون الذي لا يجتمع له عشرة إلا رغبة أو رهبة.

وهـارون هـو الـذي كـان يقـول للسـحابة: امطـري حيـث شـئت، فسـوف

يأتيني خراجك.

ولـو أنـما أسـعى لأدنـى معيشـة كفـاني ولم أطلـب قلـيلاً مـن المـال

ولكـــنما أســـعى لمجـــد مؤثـــل وقـد يـدرك المجـد المؤثـل أمثـالي

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً. وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً. إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا. وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنْ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٦].

فلكثرة الأعداء والمتربصين بالدعوة، وكثرة الفتن والمغريات والشهوات والشبهات، يتقهقر بعض الدعاة للوراء خائبًا؛ وذلك من عدل الله وحكمته أنه ليس أهلاً لحمل هذه الدعوة الشريفة، وهذا العمل المبارك.

فبعد أن كان متمسكًا بالكتاب والسنة، حريصًا على فعل السنن، حَذِرًا من البدع والمخالفات، ترى في وجهه نضرة الصالحين، وفي معاملاته أسلوب الزاهدين، وتسمع في كلماته خطاب الناصحين، تراه بعد ذلك يرجع القهقرى شيئًا فشيئًا، حتى يصير مع الضائعين المائعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأسباب التقهقر كثيرة أهمها باختصار:

١- ضعف الثقة بنصر الله ووعده:

يقول الله جل في علاه: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩].

فالله سبحانه وتعالى يبتلي ويختبر، قال الله تعالى: ﴿الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

ففي ظل الظروف التي تحصل للداعي إلى الله من الابتلاءات والاختبارات للتمحيص يتقهقر أناس، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَ. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾[الأحزاب: ٩-١٣].

ولك أسوة بثقة إبراهيم بربه لما ألقي في النار ، ويوسف لما ألقي في البئر وبيع رقيقًا، ويونس لما كان في البحر، وموسى لما لحقه فرعون وقومه حتى وصل البحر، وغيرهم عليهم السلام.

فتقهقر كثير من الناس، إما لكونه لا يعلم أنه على الحق، وإن حصل ما

حصل، وإما أنه يعلم أنه على الحق، ولكن في إيمانه ضعف.

٢- قلة الزاد (وهو العلم):

يقول الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[آل عمران:١٨]، ويقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١]، ويقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:١١٤]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٩] .

وفي «صحيح مسلم» برقم (٨١٧) عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ: أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِالْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى. قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى. قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

فالعلم في هذه الدعوة كالعمود الفقري من الإنسان، حيث لا تتم الدعوة إلى الحق إلا بمعرفته، ولا يعرف إلا بالركود والمكث عند ركب العلماء، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أول شيء نُبئ به هو قوله: ﴿اقرأ﴾ كما في الصحيحين عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-.

وكل ذنب عصى الله به إنما سببه الجهل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٧].

فكل ذنب خطأ أو عمد سببه الجهل، إما بالكلية أو بعظمة من عصاه، أو بما سيترتب عليه من العقوبة، إن عاقبه الله في غير الشرك والكفر، فإنّهما معاقب فاعلهما لا محاله، إن مات على ذلك.

وأي دعوة، أو دولة، أو مؤسسة، أو أي عمل كان، لا يعتمد على العلم؛ فقائدها الفشل.

وقد استعاذ موسى عليه السلام أن يكون من الجاهلين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة:٦٧] ، وأمر الله بالإعراض عن الجاهلين، قال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وحذَّر الله نبيه-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أن يكون من الجاهلين فقال: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥]، ووعظ نوحًا عليه السلام ، بأن لا يكون منهم فقال: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[هود:٤٦] .

ولذلك كان أفضل الخلق هم الأنبياء والرسل ثم العلماء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فقلة العلم أو فقده -وهو الجهل- سبب الفشل.

٣- أكل القات:

وهذا يعتبر من الأسباب المهمة في تقهقر بعض الدعاة، وأعني به في

المناطق التي تزرع بِها هذه الشجرة الأثيمة. فَقَلَّ أن ترى بلادًا تزرع فيها شجرة القات إلا وترى أول شيء في التقهقر هو التخزين، وهذا ملاحظ وملموس، فإذا خزن قصر في الواجب، واقترب من المحرمات، أو عملها[1].

وقد روى مسلم في «صحيحه» برقم (١٠١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة:١٧٢].

ثُمَّ ذَكَرَ «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

وكذلك أكل القات، يؤدي بصاحبه إلى مجالسة الطالحين، والفسقة، وقد يتمادى به الأمر لبيع القات وشراءه، فإذا حصل منه ذلك ضاع وانماع، كما يذوب الملح في الماء، وأصبح في خبر كان، ولا يفلح مخزن.

والقات قد ضيع أهله الذين هم أهله، وما عرفوا الدعوة ولا العلم، وأنساهم أنفسهم، فكيف بداع إلى الله أو طالب علم يأتي يزاحم المخزنين في مجالس تخزينهم، وفي سوق القات كالمجنون، وأين الدعوة إلى الله يا هذا !

يـا معشـر القـراء ويـا ملـح البلـد ... مـا يصـلح الملـح إذا الملـح فسـد

---

[1] ولي في القات مطوية؛ ذكرت فيها زبدة أضرار القات، وقد طبعت مرات، ولله الحمد والمنة.

٤- جلساء السوء:

روى الترمذي برقم (٢٣٧٨) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**». وهو حديث حسن.

فالجليس له تأثير على جليسه في الخير والشر، روى البخاري برقم (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨) عَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**».

فالبعد كل البعد من جلساء السوء؛ لأنهم إما أن يبقى الإنسان معهم في جدال وخصام يقسي القلب، وإما أن يقع في منكراتهم، والله تعالى يقول: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً**﴾[النساء: ١٤٠].

ويقول سبحانه: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[الأنعام: ٦٨].

فمجالسة أهل الشر لا سيما المبتدعة من أوسع أبواب الانحراف والزيغ، نسأل الله العافية.

٥- الجدل:

قال الله تعالى :﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف:٥٤].

روى الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٢) عن أبي أمامة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ» ثُمَّ تَلا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- هَذِهِ الآيَةَ:﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف:٥٨].

هذا حديث حسن.

وهيهات أن ترى قوماً انتشر بينهم الجدل؛ إلا ظهرت فيهم الشحناء والبغضاء، وربما التقاطع، والتهاجر؛ ومصيرهم إليه يوماً من الأيام؛ إن لم يتركوا الجدل.

ولن ترى جدلياً؛ إلا بغضه الله إلى الناس؛ فاحذر على نفسك من كثرت الكلام، إلا ما لابد منه.

وبعضهم إذا تكلم؛ لكثرت كلامه، ربما لاتجد معه فرصة للكلام، والبركة في القليل إذا كان موزوناً.

٦- الانهزامية:

ينبغي للداعي إلى الله أن يكون شجاعًا مِقدامًا، لا تثنيه الخطوب على القيام بما أوجب الله عليه، ويكون له أسوة حسنة برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لما دعا إلى الله وجميع أهل الأرض بخلافه، وتلقى جميع أنواع الأذى الحسي والمعنوي، وصبر وصابر، ولم ينهزم حتى نصره الله.

ويعجبني موقفٌ للإمام عبدالغني المقدسي ﷺ لما جمعه الوالي ومخالفيه، فقال له: كل هؤلاء على باطل وأنت على حق؟ فقال: نعم.

ولذا عرَّف بعض السلف الجماعة بقوله: ما وافق الحق، ولو كنت وحدك. فبعضهم يظن الحق بكثرة الأتباع، أو المناصرين، فإذا لم يكن له ذلك سقط وتردى، ورجع القهقرى، فمثل هذا ليته كان نسيًا منسيًا.

٧- ترك الرجوع إلى العلماء:

وهذا أمر مهم، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء:٨٣].

ورد الأمر إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- في سنته، وأولي الأمر هم العلماء في أصح قولي أهل العلم، إذ كان العلماء هم الأمراء.

فإذا استقل الداعي إلى الله بنفسه، ولم يرجع إلى العلماء، لا شك أنه ستعرض له الفتن والمشاكل، فيخبط في هذه أو تلك، فتزل قدمه في مسألة، أو أخرى، فيرجع إلى الورى.

الفهم الخاطئ

إن مدار هذه الشريعة السمحة، وعمود فقار تبليغها، لمن حسن عمله، وصلحت نيته، هو الفهم الصحيح لمقاصدها، ومعرفة مراد الله سبحانه وتعالى، ومراد رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لا على مراد غيرهما.

ولذلك قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله. وآمنت برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، على ما جاء عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، على مراد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

وربنا جل في علاه يقول: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود: ١١٢].

وفي صحيح البخاري برقم (٣١٨٢) ومسلم برقم (١٧٨٥) عن أبي وائل قال: قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ.

فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَى رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَنْ

يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا».

قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَابَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَابَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ الله ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، أَوْ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ.

فإذا فهم الداعي إلى الله المسألة فهمًا خاطئًا بسبب قلة أو عدم تحريه للحق والفهم الصحيح، أو لتعجله في هضم المسألة، أو لحداثة عهده بمعرفة المسألة فنسيها وبقي في ذهنه مفهوم عكس الصواب.

فإذا بلغ ذلك ضر نفسه وأضر غيره أكثر، فمن ذلك أن خطيبًا كان يخطب من كتاب، وفي الكتاب: الزِنَا عَمَّ، والرِبَا طَمَّ، والبلا عَمَّ، آه آه. أي يتأوه صاحب الكتاب. فقرأه: الزَناعِم والرَباطِم والبلاعِم، ٥١، ٥١ .

ورجل آخر قرأ حديث ابن عباس الذي رواه البخاري برقم (٥٣) ومسلم (١٧) وفيه: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- «**نهى عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت**». فجعل الرجل يقول للناس الدباء حرام، وإنما المراد من الحديث هو الانتباذ في جرار الدباء، على أنه حتى حكم الانتباذ منسوخ.

وكتب سليمان بن عبدالملك إلى ابن حزم -عامله على المدينة-: أن أحصِ من قبلك من المخنثين. فصحف الكاتب فنقط الحاء، فنطقت خاء أي (أخصِ)، فخصاهم. وقيل: إنه علم قبل الفعل، فكَفَّ كما في فتح المغيث (٤/ ٦٤).

ومن ذلك ما سمعت شيخنا يحيى حفظه الله يذكره، قال: كان رجل يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى الله وَمَا كَانَ لله فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الأنعام: ١٣٦].

فقال له رجل: هل لله شركاء؟ قال: نعم، لهذا الدليل.

فقال له رجل عامي: فماذا تقول في قول الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ﴾؟ فصمت.

الديون

روى البخاري برقم (٨٣٢) ومسلم برقم (٥٨٩) عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاةِ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ: حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

فتأمل كيف قرن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- الاستعاذة من المغرم بالاستعاذة من أربع فتن هي من أعظم الفتن التي تواجه المسلم، وفي عبادة هي الركن الثاني من أركان الإسلام؛ لأن المغرم قد يترتب عليه كذب وخلف وعد، وهي من كبائر الذنوب.

وفي «صحيح البخاري» برقم (٣٣) و«مسلم» (٥٩) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ،كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

وإذا تحمل المرء بأموال الناس دينًا ولم يؤدِها فإنه قد يشتغل بقضاء هذا الدين، وربما فرط فيما يجب عليه وترك ما يستحب له.

وقد يَعِدُ فلا يفي لعجزه عن الوفاء، وربما مع عزمه على الوفاء فيكون في منظور الناس كاذبًا، هذا إن كان عازمًا على الوفاء بصدق، فعجز كيف لو خالط النية تكاسل وإهمال؟ ومثل هذا يضيع أموال الناس.

وفي «صحيح البخاري» برقم (٢٣٨٧) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**».

والدين يسبب لصاحبه الذلة والهم، وكما قيل: الدَّيْن همٌ بالليل وذلٌ بالنهار. وقد لا يصبر المُدَيِّن على صاحب الدين.

وفي «صحيح البخاري» برقم (٢٣٩٠) ومسلم رقم (١٦٠١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَجُلاً تَقَاضَى رَسُولَ الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً، وَاشْتَرُوا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ**» وَقَالُوا: لا نَجِدُ إِلا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ؟ قَالَ: «**اشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً**».

وفي «صحيح البخاري» برقم (٢٣٩٦) عن جابر بن عبدالله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّيَ وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلاثِينَ وَسْقًا لِرَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ فَأَبَى أَنْ يُنْظِرَهُ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ.

فَجَاءَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ ثَمَرَ نَخْلِهِ بِالَّذِي لَهُ، فَأَبَى، فَدَخَلَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- النَّخْلَ فَمَشَى فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لِجَابِرٍ: «**جُدَّ لَهُ، فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ**» فَجَدَّهُ بَعْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَأَوْفَاهُ ثَلاثِينَ وَسْقًا، وَفَضَلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَسْقًا.

فَجَاءَ جَابِرٌ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي كَانَ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ. فَقَالَ: «**أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ**

الْخَطَّابِ» فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ عَلِمْتُ حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لَيُبَارَكَنَّ فِيهَا.

وفي «سنن أبي داود» برقم (٣٠٥٥) عن عَبْدِ الله الْهَوْزَنِيِّ قَالَ: لَقِيتُ بِلالاً مُؤَذِّنَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بِحَلَبَ، فَقُلْتُ: يَا بِلالُ، حَدِّثْنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-؟ قَالَ: مَا كَانَ لَهُ شَيْءٌ، كُنْتُ أَنَا الَّذِي أَلِي ذَلِكَ مِنْهُ مُنْذُ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الإِنْسَانُ مُسْلِمًا، فَرَآهُ عَارِيًا، يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَقْرِضُ، فَأَشْتَرِي لَهُ الْبُرْدَةَ، فَأَكْسُوهُ، وَأُطْعِمُهُ.

حَتَّى اعْتَرَضَنِي رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: يَا بِلالُ، إِنَّ عِنْدِي سَعَةً فَلا تَسْتَقْرِضْ مِنْ أَحَدٍ إِلا مِنِّي. فَفَعَلْتُ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ تَوَضَّأْتُ، ثُمَّ قُمْتُ لأُؤَذِّنَ بِالصَّلاةِ، فَإِذَا الْمُشْرِكُ قَدْ أَقْبَلَ فِي عِصَابَةٍ مِنْ التُّجَّارِ، فَلَمَّا أَنْ رَآنِي قَالَ: يَا حَبَشِيُّ. قُلْتُ: يَا لَبَّاهُ. فَتَجَهَّمَنِي وَقَالَ لِي قَوْلاً غَلِيظًا. وَقَالَ لِي: أَتَدْرِي كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهْرِ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَرِيبٌ. قَالَ: إِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَرْبَعٌ، فَآخُذُكَ بِالَّذِي عَلَيْكَ، فَأَرُدُّكَ تَرْعَى الْغَنَمَ، كَمَا كُنْتَ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَأَخَذَ فِي نَفْسِي مَا يَأْخُذُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ، حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ رَجَعَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي: إِنَّ الْمُشْرِكَ الَّذِي كُنْتُ أَتَدَيَّنُ مِنْهُ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا تَقْضِي عَنِّي، وَلا عِنْدِي، وَهُوَ فَاضِحِي، فَأْذَنْ لِي أَنْ آبَقَ إِلَى بَعْضِ هَؤُلاءِ الأَحْيَاءِ الَّذِينَ قَدْ أَسْلَمُوا، حَتَّى يَرْزُقَ اللهُ رَسُولَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مَا يَقْضِي عَنِّي.

فَخَرَجْتُ، حَتَّى إِذَا أَتَيْتُ مَنْزِلِي، فَجَعَلْتُ سَيْفِي وَجِرَابِي وَنَعْلِي وَمِجَنِّي عِنْدَ

رَأْسِي، حَتَّى إِذَا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ الأَوَّلِ، أَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يَسْعَى يَدْعُو: يَا بِلالُ أَجِبْ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَإِذَا أَرْبَعُ رَكَائِبَ مُنَاخَاتٌ عَلَيْهِنَّ أَحْمَالُهُنَّ، فَاسْتَأْذَنْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**أَبْشِرْ، فَقَدْ جَاءَكَ اللهُ بِقَضَائِكَ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَ الرَّكَائِبَ المُنَاخَاتِ الأَرْبَعَ؟**» فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «**إِنَّ لَكَ رِقَابَهُنَّ، وَمَا عَلَيْهِنَّ، فَإِنَّ عَلَيْهِنَّ كِسْوَةً وَطَعَامًا، أَهْدَاهُنَّ إِلَيَّ عَظِيمُ فَدَكَ، فَاقْبِضْهُنَّ، وَاقْضِ دَيْنَكَ**» فَفَعَلْتُ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ مَا قِبَلَكَ؟**» قُلْتُ: قَدْ قَضَى اللهُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ عَلَى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ. قَالَ: «**أَفَضَلَ شَيْءٍ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**انْظُرْ أَنْ تُرِيحَنِي مِنْهُ، فَإِنِّي لَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّى تُرِيحَنِي مِنْهُ**».

فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- الْعَتَمَةَ، دَعَانِي فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الَّذِي قِبَلَكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: هُوَ مَعِي، لَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ، فَبَاتَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَسْجِدِ، وَقَصَّ الْحَدِيثَ.

حَتَّى إِذَا صَلَّى الْعَتَمَةَ -يَعْنِي مِنَ الْغَدِ- دَعَانِي، قَالَ: «**مَا فَعَلَ الَّذِي قِبَلَكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ أَرَاحَكَ اللهُ مِنْهُ يَا رَسُولَ الله، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللهَ، شَفَقًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَزْوَاجَهُ، فَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ امْرَأَةٍ، حَتَّى أَتَى مَبِيتَهُ. فَهَذَا الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ.

وهو حديث حسن، كما قاله شيخنا ﷺ في الجامع الصحيح.

فإذا ضُيِّق على طالب العلم والداعي إلى الله في الديون، ربما انقطع عما هو أنفع له، ذهب يسعى في قضاء الدين، وكثير ممن انقطع عن طلب العلم لقضاء الدين لم يقضِ دينًا بل زادت ديونه.

وإذا مات الإنسان وهو مديون، بقيت نفسه معلقة بدينه حتى يُقض فينصح بترك الدين إلا ما لابد منه، لاسيما إذا كان للتوسع أو الترفيه، فلا ينبغي أن يستدين الرجل، والله عز وجل يقول: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾[الطلاق: ٧].

التعجل في الأمور

قال الله جل في علاه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت: ٣٣-٣٥].

ويقول ربنا سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الأحقاف: ٣٥].

فالاستعجال في حصول النتائج يجعل الداعي ربما فتر وتقهقهر، وقد قال بعضهم:

غزلت لهم غـزلاً نسيجًا فلـم أجـد لغــزلي نســاجًا فكسرــت مغــزلي

ولك عبرة أيها الداعي بنبي الله نوح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ. يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَاراً. وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً. ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً. ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾[نوح: ١-٩].

ومع هذا الجد والمثابرة في الدعوة فقد مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، قال الله جل في علاه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[العنكبوت: ١٤].

وكان هذا الطوفان والغرق لقومه بعد أن قال الله سبحانه وتعالى له: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[هود: ٣٦].

وهذا كان بعد محاجَّةٍ، ومجادلةٍ طويلة، ومناصحة، وكثرة تعهد بتمهل وصبر؛ واستعجالهم العذاب، هم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ. فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ. وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ. وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ. وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ. وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ. وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[هود:٢٥-٣٦].

وفي القرآن الكريم ما يغني ويكفي ويشفي من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، لمن تدبر ذلك وعقله[١].

وفي صحيح السنة غنية عن سرد الوقائع والحوادث من سير المتساقطين في الدعوة بنوع بدعة كحزبية أو بلهثٍ وراء الدنيا الفانية، أو حسد أو غيره.

فاعتبر بالناجين، وسر بسيرهم تفز في الدارين ! وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

---

[١] وقد كتبت في ذلك كتابًا بعنوان: «إتحاف النجباء بما حصل للأنبياء والصالحين مع أقوامهم من الابتلاء».وهو تحت الطبع.

الحسد

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٥٤].

وروى البخاري في صحيحه برقم (٦٠٦٧) ومسلم برقم (٢٥٥٩) عن أنس بن مالك: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لا تَبَاغَضُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ».

وروى البخاري أيضًا في صحيحه برقم (٦٠٦٦) ومسلم برقم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

فالحسد هو الذي أخرج إبليس عليه لعنة الله من الجنة، بل أعظم من ذلك أنه أخرجه من رحمة الله، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[ص: ٧١-٧٨].

فكم صد الحسد من أناس عن الإسلام والإيمان، وكم صد أناسًا عن اتباع الحق ومتابعته، كونُ فلان هو الداعي له، وكم ترك الحق ممن كان من أهله؛ من أجل حسده لفلان.

والحسد من أوصاف أهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[البقرة: ١٠٩].

ولقد أحسن من قال:

ألا قل لمن كان لي حاسدًا ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه ... لإنَّك لم ترضَ بما وهب

فأخزاك ربي بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

ولذلك فأحسن علاج للحسد هو الرضا بالقدر والقناعة بما قسمه الله من قليل أو كثير، وفي صحيح مسلم برقم (١٠٥٤) عن عبدالله بن عمرو: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[النساء: ٣٢].

قال ابن طباطبا:

حسود مريض القلب يخفي أنينه ... ويضحى كئيب البال عند حزينه

يلومُ على أن رحت للعلم طالبًا ... أجمع من عندي الرواة فنونه

فأعرف أبكار الكلام دعوته ... وأحفظ مما أستفيد عيونه

ويزعم أن العلم لا يكسب الغنى ... ويحسن بالجهل الذميم ظنونه

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه

«أدب الدنيا والدين» ص(٥٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى(١٠/ ١٢٤-١٢٥):

(والمقصود أن الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال:

(ما خلا جسد من حسد لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه).

وقد قيل للحسن البصرى أيحسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبالك، ولكن عمه فى صدرك فانه لا يضرك مالم تعذبه يدًا ولسانًا.

فمن وجد فى نفسه حسدًا لغيره؛ فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه، وكثير من الناس الذين عندهم دِيْنٌ لا يعتدون على المحسود فلا يعينون من ظلمه، ولكنهم أيضًا لا يقومون بما يجب من حقه، بل إذا ذمه أحد لم يوافقوه على ذمه، ولا يذكرون محامده، وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا، وهؤلاء مدينون فى ترك المأمور فى حقه، مفرطون فى ذلك لا معتدون

عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم فلا ينصفون أيضًا فى مواضع، ولا ينصرون على من ظلمهم، كما لم ينصروا هذا المحسود وأما من اعتدى بقول أوفعل فذلك يعاقب) اهـ.

التفرق

لقد ذم الله سبحانه وتعالى التفرق والاختلاف في كتابه وعلى لسان رسله، قال الله جل في علاه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥٣].

وجعل الله التفرق وصفًا ذميمًا للمشركين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣١-٣٢].

وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ. وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة: ١-٥].

و الأدلة من السنة مذكورة في الكلام على الحزبية لأنها أهم ما فرَّق المسلمين في هذا الزمن؛ لذا أفردتها ، وإلا فهي من التفرق .

والتفرق وإن كان محرمًا على غير أهل السنة، وواجب عليهم أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فهو أيضًا محرم على أهل السنة أشد؛ لمعرفتهم بالحق أكثر من غيرهم.

والعاصي الذي يعرف حكم المسألة ذنبه أعظم من المعاصي الجاهل، والعاصي الذي يلتزم الحكم ويخالفه أعظم ذنبًا من العاصي الذي لا يلتزم الحكم خلا المستحل.

وأهل السنة أبعد الناس عن التفرق، وهم دعاة الاعتصام والألفة، لكن إن وجد التفرق بين أفراد منهم أضر غاية الضرر، وهو سبب للفشل وتسلط الأعداء.

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[آل عمران:١٥٢-١٥٣].

المسألة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ. إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾[محمد: ٣٦-٣٧].

وفي صحيح البخاري برقم (١٤٧٤) ومسلم رقم (١٠٤٠) عن عبدالله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ».

وفي صحيح البخاري برقم (١٤٧١) عن الزبير بن العوام -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ».

وفي صحيح مسلم برقم (١٠٤١) عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ».

فالمسألة وهي ما يسميه بعض الناس (الشحاتة) تعتبر من كبائر الذنوب إلا من ذكر في حديث قبيصة، وهو عند مسلم برقم (١٠٤٤) عن قبيصة قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إِلا لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا،

ثُمَّ يُمْسِكُ. وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-.

وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُومَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-. فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ، سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».

فالمسألة مع كونها محرمة بل كبيرة من كبائر الذنوب، فهي من جملة المعاصي التي تعتبر سببًا لنكبة الدعوة، بل من أعظم الأسباب في ذلك، وبعض الدعاة لا جزاهم الله خيرًا؛ أهانوا الدعوة وأظهروها بصورة سيئة، ومن عند هذا التاجر إلى هذا المتصدق، ما عندنا وما عندنا! ونريد ونريد !

ومن يراهم وهو لا يعرف الدعوة، ورجالها الشم الأنوف، أساء الظن بهذه الدعوة المباركة وأهلها.

يا هذا أين عزة العلم وعفة الدعوة، وفي صحيح البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) عن أبي سعيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ. فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

قال علي بن عبدالعزيز القاضي رحمه الله:

يقولــون لي فيــك انقبــاض وإنــما ... رأوا رجلاً عن موقف الـذل أحجـما
أرى الناس من داناهم هان عنـدهم ... ومـن أكرمتـه عـزة الـنفس أكرمـا
ولم أقـض حـق العلـم إن كـان كلـما ... بـــدا طمـــع صـــيرته لي ســـلما
ومـــا كـــل بـــرق لاح لي يســـتفزني ... ولا كل مـن لا قيـت أرضـاه مـنعما
إذا قيـل هـذا منهـل قلـت قـد أرى ... ولكـــن نفـــس الحـــر تحتمـــل الظـــما
أُنهنههـا عـن بعـض مـا لا يشـينها ... مخافـة أقـوال العـدا فـيم أولمـا؟
ولم أبتذل في خدمـة العلـم مهجتـي ... لأخـدم مـن لاقيـت لكـن لأخـدما
أأشـقى بـه غرسًـا وأجنيـه ذلـة ... إذن فاتبـاع الجهـل قـد كـان أحزمـا
ولو أن أهـل العلـم صـانوه صـانهم ... ولـــو عظمـــوه في النفـــوس لعظـــما
ولكـــن أهـــانوه فهـــان ودنســـوا ... محيـــاه بـــالأطماع حتـــى تجهـــما

«أدب الدنيا والدين» ص(٩٢).

وبعض الناس يسأل أي شيء يجده مع الناس إن وجد مالاً فنعما هو! وإن وجد كتابًا سأله، وبعض الناس أظنه لو رأى أنك تعطيه عمامتك من فوق رأسك وحذاءك من رجلك، لقال أعطني جزاك الله خيرًا.

أما الإخوان المسلمون فيسألون حتى سيارات وتلفزيونات وعمارات ومساحات، وما بقي معهم إلا أن يقولوا للناس: أعطونا كل ما تملكون، وابقوا معنا عبيدًا. وهذا آخر تطور تصل إليه المسألة في عصر نَهضتها وازدهارها!

ولله در عبدالله بن المبارك إذ يقول:

يـــا جاعـــل العلـــم لـــه بازيًـــا ... يصـــطاد بـــه أمـــوال المســـاكين

احتلـــــت للـــــدنيا ولـــــذاتِها ... بحيلـــــة تـــــذهب بالـــــدين

فصرـــت مجنونـــاً بِهـــا بعـــدما ... كنـــــــت دواءً للمجـــــــانين

أيـــن رویاتـــك فـــما مضى ... عـــن ابـــن عـــون وابـــن ســـيرين

ودرســـــك العلـــــم بآثـــــاره ... في تـــــرك أبـــــواب الســـــلاطين

تقـــول أكرهـــت فـــماذا كـــذا ... زل حمـــــار العلـــــم في الطـــــين

لا تبـــع الـــدين بالـــدنيا كـــما ... يفعـــــل ضـــــلال الرهـــــابين

«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٠).

التصدر قبل التأهل

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾[آل عمران: ٧].

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾[النساء: ١٦٢].

فإذا رسخ الداعي إلى الله في العلم، وثبت علمه، واستبصر فيما يحل ويحرم، والبدعة من السُّنة، وما يصلح فيه الخلاف، وما لا يجوز فيه الخلاف، وما ينكر على المخالف فيه مما لا ينكر عليه؛ فهو الذي يصلح أن يتصدر.

وخلاصته: أن يهضم قدر مستطاعه من الكتاب والسنة، مع إتقان أصل منهج السلف الصالح الذي ساروا عليه، وأن يكون عنده من الحنكة والسياسة ما يستطيع به تدبير ما يَهمُه ويفهم من يدور حوله، فمثل هذا هو الذي ينفع وينتفع إذا تصدر إن شاء الله.

أما إذا تصدر من يجهل ما يدعو إليه، فهذا أولاً حرم نفسه خيرًا، كما قال الشافعي: إذا تصدر الحدث فاته كثير من العلم.

وثانيًا: قد يَخْبط خَبْط عشواء، لجهله بالأصول التي ينبغي أن يسير عليها، وهي أصول منهج السلف، ومثل هذا ضرره على الدعوة أكثر من نفعه، إلا أن يشاء الله. وفي مثل هؤلاء قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي حفظه الله، فيما نحسب: قطاع طرق.

وغالب الخلافات التي قد تحصل بين الدعاة؛ من هذا القبيل، فتجد من لم يتمكن في العلم، واستعجل في الخروج؛ يريد من الناس أن يلتفوا حوله، وهو لم يبلغ من المنزلة ما يستحق ذلك في نظر الناس.

وبعضهم قد يكون عنده من العلم الخير الكثير لكنه لم يجرب الدعوة ، وكيف التعامل مع الناس؛ فكل من خالفه هجره، وحذر منهه ، وهذا قليل أو نادر ولله الحمد.

ولكن ينبغي أن لا يقود الدعوة إلا العقلاء من أهل العلم، وطلبة العلم الذين لهم صلة بالعلماء؛ والرجوع إليهم، ولا يستقل الطالب بنفسه عن معلميه، ومشايخ السنة:

أولئـــك آبـــائي فجئنـــي بمـــثلهم إذا جمعتنـــا يـــا جريـــر المجـــامع

ولذلك فينبغي التحفظ فيمن يُرسل للمراكز المصغرة؛ فلا يُرسل إلا من عُلمت منه الأهلية؛ بالعلم، والإخلاص، والاتباع، والنباهة، فيبقى في المراكز العلمية حتى تعلم العلم، ويفقه الدعوة، ويعرف بُعده عن أهل البدع؛ فكم ممن لم تتوفر فيه الأمور السابقة؛ جروا على الدعوة الويلات والنكبات. والله المستعان.

التعصب للأشخاص

قد ذم الله سبحانه وتعالى التقليد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[الزخرف: ٢٣-٢٤].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» (٤/ ٥٣٠):-

(وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه، فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بِهم، فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة، أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بِها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة، بل بمجرد قال وقيل، لشبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة، قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ، أو بما يلاقي معناه معنى ذلك ، فإن قال لهم الداعي إلى الحقّ : قد جمعتنا الملة الإسلامية ، وشملنا هذا الدين المحمدي ، ولم يتعبدنا الله ، ولا تعبدكم ، وتعبد آباءكم من قبلكم إلاّ بكتابه الذي أنزله على رسوله ، وبما صحّ عن رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فإنه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه ، الفارق بين محكمه ، ومتشابهه ، فتعالوا نردّ ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله ، وسنّة رسوله كما أمرنا الله بذلك في كتابه بقوله : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله والرسول ﴾ [النساء : ٥٩] ، فإن الردّ إليهما أهدى لنا ولكم من الردّ إلى ما قاله أسلافكم ، ودرج عليه آباؤكم ، نفروا نفور الوحوش ، ورموا الداعي لهم إلى ذلك بكل حجر ومدر ،

كأنهم لم يسمعوا قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المؤمنين إِذَا دُعُواْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور : ٥١] ، ولا قوله : ﴿فَلاَ وَرَبّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ [النساء : ٦٥] ، فإن قال لهم القائل : هذا العالم الذي تقتدون به ، وتتبعون أقواله هو مثلكم في كونه متعبداً بكتاب الله ، وسنّة رسوله ، مطلوباً منه ما هو مطلوب منكم ، وإذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل ، فذلك رخصة له لا يحلّ أن يتبعه غيره عليها ، ولا يجوز له العمل بها ، وقد وجدوا الدليل الذي لم يجده ، وها أنا أوجدكموه في كتاب الله ، أو فيما صحّ من سنّة رسوله ، وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : لا نعمل بهذا ، ولا سمع لك ، ولا طاعة ، ووجدوا في صدورهم أعظم الحرج من حكم الكتاب ، والسنّة ، ولم يسلموا ذلك ، ولا أذعنوا له ، وقد وهب لهم الشيطان عصي يتوكؤون عليها عند أن يسمعوا من يدعوهم إلى الكتاب والسنة، وهي أنّهم يقولون:

إن إمامنا الذي قلدناه واقتدينا به أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، وذلك لأن أذهانَهم قد تصورت من يقتدون به تصورًا عظيمًا، بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع، وما علموا أن هذا منقوض عليهم مدفوع به في وجوههم)اهـ.

فبعض الناس قد يودع عقله إنسانًا ما، ويتابعه ويطيعه طاعة عمياء، عرف الحق أو جهله، أصابه أو أخطأه.

و قد يحسن الظن بِهذا أو ذاك، أو بمن هب ودرج، زعم، وهو إنما هو: إما في غفلة أو غباوة أو تمييع إن كان بمن لا يستحقه.

وعلى كل حال فالتقليد والتعصب للأشخاص يجعل المقلد يدفع الحق

ويرده، ويقع في الباطل ويصير من أهله، ولا يبالي على أي حال وقع، ولا إلى أي مصير صار في الدنيا أو في الآخرة.

ما الفرق بين مقلد في دينه ... راضٍ بقائده الجهول الحائر

وبَهيمة عمياء قاد زمامها ... أعمى على عوج الطريق الجائر

الغلو

قال الله جل في علاه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[المائدة: ٧٧].

وفي صحيح البخاري برقم (٣٣٤٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ».

وفي «مسند أحمد» (١/ ٢١٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- غَدَاةَ جَمْعٍ هَلُمَّ الْقُطْ لِي فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ. قَالَ: «نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ». هذا حديث صحيح.

وفي «مسند أحمد» (٤/ ٢٤- ٢٥) عن عَبْدِالله بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «السَّيِّدُ اللهُ» قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلاً وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلا. فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ، وَلا يَسْتَجِرُّهُ الشَّيْطَانُ». هذا حديث صحيح.

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٧٠) عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلاثًا.

فالغالي في الدين مدعٍ على السنة ما ليس منها متقول على الله بلا علم، مآله

للهلاك والانقطاع والفشل، ومرتكب لكبيرة من الكبائر، أعاذنا الله من ذلك.

وفي «المعجم الكبير» للطبراني (٨/ ٢٨١ برقم ٨٠٧٩) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم، وكل غالٍ مارق**».

هذا حديث حسن.

والإسلام، والسُنَّة (التي هي الإسلام العتيق) دين رحمة ورفق وسماحة مع ثبات على الحق، وفي صحيح البخاري برقم (٦١٢٤) ومسلم برقم (١٧٣٣) عَنْ أبي موسى قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ لَهُمَا: «**يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا**».

وفي «مسند أحمد» (٦/ ١١٦) عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَئِذٍ: «**لِتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ**».

وهذا إسناد ضعيف لأجل عبد الرحمن بن أبي الزناد، ضعيف لاسيما في أبيه، كما في تَهذيب التهذيب.

وله شاهد في «المسند» (١/ ٢٣٦) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ دَاوُدَ ابْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى الله ؟قَالَ: «**الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**».

وهذا إسناد ضعيف لأجل عنعنة ابن إسحاق فإنه مدلس، وداود بن الحصين روايته عن عكرمة منكرة، كما في تَهذيب التهذيب.

وله شاهد من حديث أعرابي، عند أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧٩): حَدَّثَنَا

أَبُوسَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُوهِلالٍ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلالٍ الْعَدَوِيِّ سَمِعَهُ مِنْهُ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ الأَعْرَابِيِّ الَّذِي سَمِعَ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ».

وهذا إسناد ضعيف أيضاً لأجل أبي هلال وهو محمد بن سليم الراسبي ضعيف.

وجاء من حديث أبي بن كعب عند الترمذي برقم(٣٧٩٣) وهوحسن .

فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح.

التمييع

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[الأعراف: ١٤٤-١٤٥].

ويقول تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[مريم: ١٢].

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

والمميع الذي لا يأخذ الأمور بحزم وجدية، تتفلت الأمور من بين يديه وهو يريد أن يرضي هذا ولا يغضب ذاك، وتذهب دعوته وتنفد بالتنازلات، أو ارتكاب المحرمات، وقد يسكت عن واجب عظيم وهو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باسم الحكمة في الدعوة، أو مصلحة الدعوة.

حتى قال شيخنا مقبل -رحمه الله-: الدعوة ما هي صنم يعبد.

وكان شيخنا رحمه الله يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يجامل ولا يحابي أحدًا.

وقال شيخنا يحيى حفظه الله: الحكمة ما هي كهانة؛ الحكمة في الكتاب

والسنة.

قال الله تعالى عن موسى -عليه السلام-: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[الأعراف: ١٥٠].

فهما صنفان، الغلاة والمميعون كلاهما ضرر على الدعوة، والحق الوسط والاعتدال، قال الله جل في علاه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البقرة:١٤٣] ،لا إفراط ولا تفريط، لا سكوت عن كلمة الحق وتغيير المنكر، ولا مجازفة وتحميل الأمور ما لا تتحمل، ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[الطلاق:٣]، ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[النحل:٩٠].

التأويل الفاسد

قد ذم الله سبحانه وتعالى الذين يتلمسون الشبه لباطلهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾[آل عمران:٧].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾.

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

فكثير ممن ينسب نفسه للدعوة السلفية المباركة، وهو صاحب هوى أو به رواسب فكر بدعي، يريد أن يَسْيِرَ على ما يريد لا على ما شرع الله سبحانه، فيحرف النصوص أو يأولها حسب مذاقه العقيم:

وكم من عائب قولاً صحيحًا ... وآفته من الفهم السقيم

وقال آخر:

ومن يك ذا فم مريض ... يجد مرًا به الماء الزلال

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٤١].

وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٧٥].

وإذا بُيِّن له الدليل من القرآن والسنة وفهم السلف الصالح في المسألة قال: أنا لا أرى كذا. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

يقولــون هــذا عنــدنا غــير جــائز فمن أنـتم حتـى يكـون لكـم عنـدُ!

فياليت هؤلاء يعقلون قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[النساء:١٣٥].

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، وقالوا: نحن عصاة بالواضح، ما تنفع المغالطة، من غشنا فليس منّا، فبمثل هذا يريحون الناس من شرهم، وأريح لهم؛ وليس أريح لهم مثل التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على فهم السلف، لو عقلوا!

التخاذل

يقول الله جل في علاه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة: ٢].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٨١)، ومسلم برقم (٢٥٨٥) عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» زاد البخاري: «وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ».

وعند البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

وفي رواية لمسلم: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ».

فالتخاذل عن كلمة الحق، و عن التعاون عليه، وعدم التناصر عائق يضر ويضعف الكلمة، ويشتت الشمل، ويفرح العدو، ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال: ٤٦].

فيجب شد أزر الحق، والوقوف جنبًا إلى جنب في الحق، والتعاون عليه، والصبر على الأذى فيه، قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وفي «صحيح البخاري» برقم (٢٤٤٤) عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:

قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**». ورواه مسلم برقم (٢٥٨٤) عن جابر.

فكما أن الناطق بالباطل شيطان ناطق، فالساكت عن الحق شيطان أخرص.

تـأبى العصيُّ إذا اجـتمعن تكسرًا ... وإذا افـترقن تكسـرت آحـادا

فالله المسئول أن يوفق الجميع للحق ونصرته، ونصرة أصحابه، ودحض الباطل، والتعاون على كسره وزجره.

الغفلة

الغفلة داء عضال إذا أصاب شخصًا أودى به إلى المهاوي، كيف لا وهو من أسباب هلاك الناس والانتقام منهم، قال الله تعالى:﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف:١٣٦]، والغفلة من أسباب البعد عن الحق وعدم معرفته، قال الله تعالى:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف:١٤٦] ، وقال تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[النحل:١٠٨] ،

فالمغفل لا يقيم دعوة، ولا تؤمل من ورائه خيرًا؛ لكثرة المتربصين، والمحتالين ؛ فإذا لم يكن فطنًا، وقع في شباك الماكرين (الذين يأتون في زي ناصحين، وما أكثرهم لا كثرهم الله).

فإذا وقع المغفل في ما يكيده له أعداء السنة؛ ضرب الدعوة، وشوههاو وربما جرَّ عليها ويلات تؤخر سير الدعوة سنين طويلة، وأعوام مديدة.

ومن الغفلة التي تحصل فتعيق سير الدعوة ما يلي:

١ – الغفلة عن ما يدبره أهل الباطل للدعوة:

وقد ذكرنا أمثلة يسيرة من هذا، وكذا عن ما يدبره أهل الباطل للداعي حتى يقع في فخاخهم.

٢- الغفلة عن شكر النعمة:

والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم: ٧].

٣- الغفلة عن مخالفة الفعل للقول:

والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]، ويقول تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:٤٤].

٤- الغفلة عن تصور حجم هذه الدعوة وما تحمله للأمة من خير وبركة، فلا يشعر بالنعمة التي هو فيها؛فيكون سبباً لانحرافه، نسأل الله حسن الخاتمة.

٥- الغفلة عن سعة ما عند أهل الباطل من الأمور، فيريد مجاراتهم، فيعجز فيتقهقر؛ وذلك أن لديهم من الفراغ، والدعم السخي، وعدم المبالاة بالدين ما يستطيعون به تنفيذ مآربهم الحزبية.

في حين يكون السني مشغولاً بعبادة ربه، وأموره المتعلقة بذلك، وقلة ما باليد، مع تورعه عن الحرام قبل ذلك، فإذا أراد فعل ما يفعلوه للناس عجز مع تمسكه وتقواه فانقطع ونكب الدعوة. و**المغفلون** هم حطب الفتن، وهم النار التي تأجج بها الفتن، وربما يكون عن حسن قصد منهم، لكن بسبب غفلتهم وقعوا فيما وقعوا فيه، فضروا وأضروا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:« لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ».

رواه البخاري برقم(٦١٣٣)ومسلم (٢٩٩٨).

فبعض المغفلين تجره العواطف، وبعضهم تجره الأخلاق المزيفة، بعضهم يودع عقله إنسانًا (ثقة عمياء)، وهكذا، وغفل عن الميزان الشرعي لكل شيء وهو : الكتاب والسنة على فهم السلف.

الفتن

إن الفتن بمختلف صورها وأشكالها، تعتبر من أهم موانع نشر الخير، وأعظمها فتنة الشرك بالله، قال الله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:١٩١]، وقال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]، وهكذا فتنة الدنيا، و فتنة الحزبية، وغيرها كثير، كفتنة الحروب كلها تأتي بزينة يغتر بها الجهال كما قال الإمام البخاري في صحيحه(١٣/ ٤٧) مع الفتح:

بَاب الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ

وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ[1] عَنْ خَلَفِ بْنِ حَوْشَبٍ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ عِنْدَ الْفِتَنِ قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

---

[1] قال الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق(٥/ ٢٨٢): قال البخاري في التاريخ الصغير :حدثنا عبد الله بن محمد المسندي ثنا ابن عيينة بهذا .وكذا في الفتح (١٣/ ٤٩).
على أن في قائل هذه الأبيات خلافًا ، وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٩): إن المحفوظ أن قائل هذه الأبيات هو: عمرو بن معد يكرب الزبيدي، كما جزم به غير واحد .

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا اسْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَونُهَا وَتَغَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

والمفتونون هم أهل البدع ، أما أهل السنة والجماعة ؛ فأهل استقامة وصلاح وخير ورشد للناس، ودعوتهم لا تفرخ في الفتن ، كسائر الدعوات الهدامة، بل إن دعوة أهل السنة والجماعة تنتشر في الطمأنينة والسكينة وهدوء البال ففي «صحيح البخاري» برقم(١٦٧١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا، وَضَرْبًا، وَصَوْتًا لِلْإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ» .

بخلاف الدعوات الأخرى فإنها إنما تربو وتكبر في الفتن ، لأنها هي نفسها فتنة، وأمثلة ذلك كثيرة، ومنها دعوة الإخوان المسلمين، فتارة يشيدون بفلسطين ، وتارة البوسنة والهرسك، وتارة الانتخابات، وغيرهم مثلهم، ولو لم تكن لهم فتنة يماسكون بها من معهم؛ لم تكن لهم قائمة.

وإذا رأيت من ما يتماسك له الناس ويبقون معه: إلا في جو الفتن فاعلم أنه على غير هدى، والله المستعان.

تربص أعداء الدعوة بها

مما لا شك فيه أن دعوة ملأت السهل والجبل، ووقفت في وجه كل باطل، بمختلف صوره وأشكاله: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ﴾[الأنفال:٣٧]، ومع هذا هي شامخة شمّاء، تعظ المتعلم، وتعلم الجاهل، وتعطف على الصغير، وتأخذ بيد الكبير، كأب رحيم، وتقمع المعاند المكابر، وتزجر الفاجر الحاسد، فلا غرابة أن ينبري لهذه الدعوة خصومها من أهل الباطل بالعداء، والتنفير، إما بالقول كما حصل للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- حيث قالوا تارة: مجنون!

روى مسلم في «صحيحه» برقم (٦٨٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ.

قَالَ: فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الْحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ».

قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاءِ. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- ثَلاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاءِ! وَلَقَدْ بَلَغْنَ

نَاعُوسَ الْبَحْرِ.

قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلامِ. قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**وَعَلَى قَوْمِكَ**». قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي.

قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً. فَقَالَ: رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ.

وتارة قالوا: كذاب وساحر، قال الله تعالى: ﴿**وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾[ص:٣-٦].

وإما بالتهديد، روى مسلم في «صحيحه» برقم (٢٧٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ أَبُوجَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ.

قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ. قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ. قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلاً، وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ، عُضْوًا عُضْوًا**».

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل -لا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ-:

﴿كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى. إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى. أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى. عَبْدًا إِذَا صَلَّى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى. أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[العلق:٦-١٣] يَعْنِي: أَبَا جَهْلٍ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى. كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ. فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ. كَلا لا تُطِعْهُ﴾[العلق:١٤-١٩]. قَالَ: وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يَعْنِي قَوْمَهُ.

وإما بالأذية الحاصلة، روى البخاري برقم (٢٤٠) وهذا لفظه، ومسلم برقم (١٧٩٤) عن عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ.

فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لا أُغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ. قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- سَاجِدٌ لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ.

فَرَفَعَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: «اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي

مُعَيْطٍ» وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ.

قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ.

وما وقعة بدر الكبرى، وأُحد، وبني النضير، وحنين، وخيبر، وغيرها، بخافية عليك، وما أريق فيها من الدماء، وما هُدَّ فيها من جبال الرجال، كل ذلك قصد أعداء الله الحيلولة دون انتشار هذه الدعوة، والصد عنها.

وكل الأساليب التي اتخذها أعداء الدعوة الأُوَل في غربة الإسلام الأولى، اتخذها أعداءها اليوم في غربة الإسلام الأخرى بأسلوب أو بآخر (وما أشبه الليلة بالبارحة)!.

فأما القول، فقد أتخذ أعداء السنة والدعوة ألقابًا لتنفير الناس عن أهل السنة والجماعة فمنها:

١- متشددون: والواقع أن أهل السنة أبعد الناس عن التشدد، روى البخاري في «صحيحه» برقم (٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ**».

قال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ اللهُ- في الفتح (١/ ١١٧):

(والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع، فيغلب.

قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا: أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع، المفظي إلى ترك الأفضل)اهـ

وأهل السنة والجماعة بحمد الله منذُ تأسست دعوتُهم على يد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إلى يومنا الحاضر، لا يفترون، ولا يكلون، ولا يملون، فالداعي في دعوته، والمعلم في تعليمه، والباحث في مكتبته، وكثيرمنهم يجمع بين ذلك كله، وهذا من فضل الله عليهم.

ولو كانوا متشددين لانقطعت دعوتُهم، وغُلبوا كما غُلب غيرهم، وانقطعت دعوته، وماتت بموته. بل لا تزال دعوتُهم ظاهرة، وهم منصورون، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، إلى قيام الساعة.

فقد روى البخاري برقم (٧٤٦٠) وهذا لفظه، ومسلم (٣/ ١٥٢٤) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**».

ورواه البخاري برقم (٧٤٥٩) ومسلم (١٩٢١) عن المغيرة بن شعبة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وجاء عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم .

٢- وهابية: هذا اللقب يتبرأ منه أهل السنة إلى الله عز وجل، ويتنصلون منه، وأطلق هذا اللقب أعداء السنة على أهل السنة إثر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي -رَحِمَهُ اللهُ-، المولود سنة (١١١٥) المتوفى سنة

(١٢٠٦)، حيث قضت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الشرك والبدع والخرافات، وجدد الله به الدين، ويكفي في فساد هذا اللقب أن دعوة لها أكثر من ألف ومائة سنة، ثم تنسب إلى فرد، يأتي بعد هذه الفترة، وينتسب إليها فتلصق به.

سارت مشرقة وصرتُ مغربًا شتانَ بين مشرقٍ ومغربِ

٣- متطرفون: والتطرف في ظاهر معناه أنه أخذ طرف الدين، وفي الحقيقة أن هذا اللقب وسابقيه إنما يطلقها أعداء السنة على المعتدلين المتمسكين بالدين حق التمسك. والغريب أن بعض هذه الألقاب أطلقها أعداء الإسلام من كفرة، وملاحدة، وأشباههم، فأخذها بعض جهلة المسلمين عن غباءٍ وتقليد لأعداء الإسلام، فأطلقوها على أهل السنة والجماعة زورًا وظلمًا.

وغير هذه الألقاب كثير:

لا تلمزونا يا خفافيش الدجى بتطرف وتسرع وتشدد

لا تقذفونا بالشذوذ فإننا سرنا على نَهج الخليل محمد

ولكل قول نستدل بآية أو بالحديث المستقيم المسند

وأما التهديد، فكم هُدد سني بالضرب، أو الطرد من البيت، أو بطلاق أمه إن هو تمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، أما إن طلب العلم ما هو إلا القتل أو التشريد، بل ويقال لبعضهم: لست مني ولست منك، ولا ترثني، ولست كأحد أولادي... وهلم جرا.

عزم رجل سُنِّي على الذهاب لطلب العلم في دماج، فجاء أحد أقارب أمه

وقال لها: إن ذهب ولدك إلى دماج فأنتِ عليَّ حرام، فعملت أم الولد كل الوسائل للحيلولة دون ذهابه إلى دماج، وتمكنت أمه من منعه من طلب العلم، خوفًا من قطيعة أخيها لها، والله المستعان!.

وأما الأذية الحاصلة، فقد كانت امرأة تُدرِّس النساء في عمران، فتلقت كافة أنواع الأذية حتى اتُّهمت في عرضها!.

وأخرى زوجها أبوها من رجل حزبي، فرفضت الزواج منه، وكان الخاطب قد أعطى مالاً كثيرًا، فقتلها أبوها بسبب رفضها للزواج من ذلك الرجل، والعياذ بالله!.

ورجل آخر في تعز قتله بعض أهل البدع:

واعلم بأن من اقتدى بمحمد ... سيناله كيد الغواة الحسدِ

ويذوق أنواع العداوة والأذى ... من جاهل ومكابر ومقلد

فاصبر عليه وكن بربك واثقًا ... هذا الطريق إلى الهدى والسؤدد

التعليم الفاشل

وهو ما يسمى بالتعليم النظامي، سواء كان في المدارس، أم كان في الجامعات، فهذا التعليم يكسب الطالب جهلاً مركبًا، فيتخرج الطالب يحمل شهادة هي حاصل ما عنده، دع عنك ما يمر به من المنكرات في المدرسة من تصوير، واختلاط في كثير منها ونحوه.

ولقد رأيت مدارس كثيرة تبني على مقبرة، وفي «صحيح مسلم» برقم (٩٧٠) عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: نَهَى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- «أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ».

وروى مسلم (٩٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ».

وعند مسلم أيضًا برقم (٩٧٢) عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا».

بل إنّهم يجعلون ما يسمونه (بالطابور) عليها، وتجري تلك التمارين والألعاب على المقبرة، وأعجب من هذا أنّهم في مدرسة كُشَر (محافظة حجة) لما أرادوا توسيعها، جعلوا يحفرون المقبرة، ويخرجون المرأة من القبر، وضفائرها نحو نصف متر، هذا في مكان الحفر فقط. أما البقية فلا يضر عندهم بحجة الحي أفضل من الهالك!! هذه المقالة الزيفاء.

وفي «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٢٢٤) من حديث بشير بن الخصاصية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- رأى رجلاً يمشي في نعلين بين القبور، فقال: «يَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ أَلْقِهِمَا».

هذا حديث صحيح.

فانظر إلى هذا النهي عن المشي بالنعال بين القبور، أما عليها فتقدمت الأدلة بتحريم المشي والجلوس والدراسة، وهل يستفاد من ذلك إلا الدبور والانتكاسة.

إن حضر الطالب يظل أكثر الوقت الدراسي وأكثر مدرسي المدرسة في سوق القات، مع تلك الشجرة الأثيمة، ثم يرجع المدرس وقد انتفخ رأسه من الصياح والضجيج في سوق القات، فيمضي بقية يومه ليكتب من الحاضرين لا لينتفع منه الطلاب، وهذا حاصل في كثير لا في الكل.

ويمشي العام الدراسي على حالة سيئة، وفي نهاية العام يدفع الطالب مبلغًا من المال، ويغش إن كان قادرًا على الغش، لأن بعضهم لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب، فكيف يغش؟!

المهم ينجح، وقصد التلميذ شهادة، وقصد المدرس راتب وصدق القائل:

يـــا خـــيرة الأقـــوال ... وضـــعوك في الأغـــلال

لـــيس المـــدرس مخلصًـــا ... والطفـــل غـــير مبـــال

هـــذا لنيـــل شـــهادة ... وذا لنيـــل المـــال

ولما فتح التعليم النظامي هذا، بكى أهل العلم في العراق وقالوا: الآن يتعلم العلم لغير الله، على أن هذا المنهج المقرر اليوم غالبه من أجل الدنيا.

وربنا جل في علاه يقول : ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾[النجم:٢٩-٣٠].

ولقد أحسن من قال:

وعلوم دين الله نادت جهرة هذا زمان فيه طي بساطي

وعلى هذا يتخرج الطالب بعد أيام أستاذًا، وهو لا يحسن يقرأ، أو يكتب! ولقد رأيت أستاذًا من خريجي معهد من معاهد المعلمين، لا يقرأ، ولا يكتب، وإذا احتاج إلى ورقة طلب من رجل آخر أن يكتب له ورقة !

ومدرس آخر، يدرس فيقول في قراءته لسورة الكافرون: (قل يا أيها الكافرين لا أعبد ما أنتم عابدين) فأنكر عليه رجل، فقال: ما تريدون إلا أنفسكم.

ورجل آخر من خِرِّيجي كلية التربية، قسم اللغة العربية، يقول لي: كلكم نحويين؟ فقلت له: قل: كلكم نحويون؛ لأنه مبتدأ وخبر!

وآخر من خريجي الجامعة -زعموا- يقول لي: أنتم مسافرين! فقلت له: قل: أنتم مسافرون، فجعل يصر على مقالته، ويقول: إنَّ (أنتم) مضاف، و(مسافرين) مضاف إليه! فأريد أن تعرف، ومثل هذا كثير وكثير جدًا.

ومدرس تربية إسلامية خريج كلية التربية، لا يصلي!

ومدرس آخر منع الطلاب من الصلاة في المدرسة، فدعا عليه الناس فأصابه الله.

أما المعاملات الأخرى من سوء أخلاق المدرس، وعدم كونه قدوة حسنة،

ومعاصيه من حلق لحية، وأغاني، وغيرها، فحدث ولا حرج.

ولقد أحسن من قال في أمثال هؤلاء:

تصدر للتدريس كل مهوس ... بليد يسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

علمًا بأن الحكومة اليمنية تنفق على هذه المدارس مبالغ باهظة جدًا، فمتوسط ما يُعْطَى شهريًا للمدرسة الواحدة، نحو ثلاثمائة ألف (٣٠٠.٠٠٠) ريالًا يمنيًا. بينما بعض المدارس أكثر، والبعض الآخر أقل بقليل.

في حين ترى البنك الدولي يتبرع بمدرسة هنا، وأخرى هناك، وهل هذا من البنك الدولي لأنه رأى أبناء المسلمين استفادوا من هذه المدارس، وحصل النفع بها، كلا؛ والله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة:١٢٠]، ويقول جل في علاه: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾[البقرة:١٣٥].

روى البخاري في «صحيحه» برقم (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ».

وفي البخاري برقم (٧٣١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟

فَقَالَ: «وَمَنِ النَّاسُ إِلا أُولَئِكَ».

فالبنك الدولي إنما يعطي هذه المدارس لأنه يشرف عليها هو، ولما فيها من تضييع لأبناء المسلمين، والصد عن سبيل الله، وإلا فمع كثرة المدارس بكم مسجد تبرع البنك الدولي؟

تموت الأسد في الغابات جوعًا ولحم الضأن تأكله الكلابُ

وعبد قد ينام على حرير وذو نسب مفارشهُ التراب

وليست العبرة بالنسب كان رفيعًا أو وضيعًا؛ ولا بكثرة المال، ولكن العبرة بتقوى الله عز وجل، لكنهم رفعوا الوضيع بفسقه ومعاصيه وبُعْدِه عن شرع الله، ووضع الرفيع بطاعة الله، المتمسك التقي البار الراشد الورع الزاهد الصالح، لكن العاقبة للمتقين، قال الله تعالى﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

بل لو تصدق رجل من أهل الخير بمسجد، ترى المعارضين له والمناوئين والمحارشين، خاصة إذا كان فيه من يعلم كتاب الله والعقيدة الصحيحة، وهذا يريد أن يختزله، وهذا يريد يمنعه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنْ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾[المائدة:٩١]، وقال الشاعر:

زعمت تُماضرُ أنني إما أَمُتْ يسكن أُبينوها الأصاغر خَلتي

والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤].

ولو ترى الفضل لأهل السنة على المجتمع بعد الله عز و جل، فكم خَرَّج أهل السنة من علماء، وحفاظ لكتاب الله ولسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، ودعاة ناجحين إلى الله، وطلاب علم مستفيدين، صغارًا، وكبارًا، ذكورًا، وإناثًا. فهم رحمة مهداة من الله، مع المثبطين والكارهين لنور الله ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة:٣٢]، وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث ابن عمر، وصححه الشيخ الألباني في «الإرواء» أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال: «وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

فكل من تعدى حدود الله، ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحارب مساجد الله، فإنما خصمه الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ* كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[المجادلة:٢٠-٢١].

قال أبو عبد الله الصوري رحمه الله:

قل لمن عاند الحديث وأضحى ... عائبًا أهله ومن يدعيه

أبعلم تقول هذا أبن لي ... أم بجهل فالجهل خلق السفيه

أيعاب الذين هم حفظوا ... الدين من التراهات والتمويه

وإلى قولهم وما قد رووه ... راجع كل عالم وفقيه

فيا ليت شعري متى يدرك هؤلاء القوم مكانة أهل السنة والحديث، وأنّهم تدور عليهم رحى الإسلام.

وإن عناء أن تفهم جاهلاً ... فيحسب جهلاً أنه منك أعلم

وتشخص أبصار الرعاع تعجبًا ... إليه وقالوا إنه منك أعلم

الحزبية

الحزبية حرام بنص الكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣١-٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣].

وروى البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ».

وفي رواية مسلم (٣/ ١٣٤٤) عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

فالحزبية تفرق المسلمين، وكل ما يفرق كلمتهم محرم، وكذلك حدث في دين الله، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وليس المراد حزبًا بعينه، بل كل ما يفرق كلمة المسلمين، سواء كان حزبًا، أم طائفة، كالرافضة أو الشيعة، أو الصوفية، أو جماعة التبليغ، فكل ما يفرق المسلمين عن الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ

وَسَلَّمَ- يعتبر محرمًا، لما تقدم من الأدلة، ولحديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ،وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**». رواه مسلم برقم (١٧١٥).

وكذا في «صحيح مسلم» (١٨٥٢) عَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ**».

والأدلة كثيرة، ولست بصدد سرد الأدلة، ورد الشبهات، ولكن غرضي أن هذه الفرق صدت عن السبيل الحق، فكل فرقة تخطف لها جماعة من الناس، وتصدهم عن كتاب الله وسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

وقد أُلِّفَت كتب كثيرة في وجوب كون المسلمين جماعة واحدة على الكتاب والسنة، وذم التفرق والاختلاف.

وعلامات الحزبي كالتالي:

١-الكذب.فترى الحزبي لا يبالي بما صدر منه من كذب،وتقلبات، بل ربما جعلوه من أساليب الدعوة عياذًا بالله.

٢- الخداع. فترى الحزبي وقد رأى وعلم فتوى العالم الفلاني ويظهر للناس أن العالم الفلاني يقول بهذا، وإذا طُولب بتحقيق نقله يقول: هذا القول قاله العلماء، والعالم الفلاني لا يخالف العلماء، ويكون العلماء-المزعومون - طائفة من الحزبيين !

وهذا من أساليب الدعوة عندهم؛ لجلب الآخرين!

٣- التلبيس.[١] فترى الحزبي يلوي الأدلة على ما يهوى، وإن علم يقينًا أن الأدلة لا تدل على ما يريد؛ وهذا الخلق الذميم أخذه الحزبيون عن مصدر الحزبية الأصلي؛ عن أهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:٧١].

٤- الولاء والبراء الضيق؛للحزب فحسب، وليس للمسلمين .

---

[١] ذكر هذه الثلاثة الأمور شيخنا الوادعي في مقدمة رسالته «حكم تصوير ذوات الأرواح»صـ٣ـ، وقد سمعتها أنا وغيري من شيخنا مقبل رحمه الله.

مكر أيادي خفية بالدعوة

تعمل أيدي خفية من وراء وراء، لضرب هذه الدعوة المباركة، فَتُدَبِّر لها المكائد من طرف خفي وقد قال ربنا جلَّ في علاه: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ. قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[النمل:٤٨-٥٣].

فهناك أنفس شريرة، وشخصيات خبيثة الطوية، عجزت عن مواجهة الدعوة بالقول والفعل، فجعلت تدس النار تحت الرماد، والسم في العسل، فاتخذوا أسلوب اليهود، ومثلهم المشهور (فَرِّقْ تَسُد) ويعمل لهذا الجواسيس، وأضرابهم، فإذا رأوا الداعي إلى الله قد نفع الله به في قريته أو مجتمعه، حَرَّشُوا بين قبيلته وقبيلة أخرى، وانقسموا قسمين، مع كل قبيلة فريق يؤيدها.

وفي «صحيح مسلم» برقم (٢٨١٢) عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ».

فإذا سُفكت الدماء، وحصل القتل والقتال، هناك تحقق لهم مرادهم الخبيث، اعتزلوا الفتنة بحجة كذا وكذا!

ومن جعل الغرابَ له دليلاً ... يمر به على جيف الكلاب

ووراءهم من يسد كل باب لحل القضية.

خلا لكِ الجو فبيضي وأصفري ونقـري مـا شـئت أن تنقـري

وأمثلة هذا كثيرة.

أمـا إن عجزوا، بكـون الـداعي لا تجره عصبية أو عاطفيـة أولا تستجريه الدعايات البرَّاقة ولا الشبه الخطافة، اتخذوا أساليب المكر ضد الداعي إلى الله وحده، ولو يقيمون عليه أقاربه إن استطاعوا، كما يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : لو استطاعوا أن يتهموا أن الدعي إلى الله يأتي أمه لفعلوا!

كذا سمعناه من شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله.

عجبـت لمبتـاع الضـلالة بالهـدى ومـن يشـتري دنيـاه بالـدين أعجـب

وأعجب من هـذين الـذي بـاع دينه بدنيا سـواه فهـو مـن هـذين أعجـب

وقال آخر:

لـيس الشـجاع الـذي يحمـي فريسـته عنـد النِـزال ونـار الحـرب تشـتعل

لكن مـن غـض طرفًا أو ثنى قدمًا عـن الحـرام فـذاك الـوارع البطـل

فيصُبُّون عليه أنواع الأذية، بأن يحركوا شخصًا، أو أشخاصًا يوجدون بينه وبينهم عداوة، لكي يشغلوه عن الدعوة إلى الله.

كل الخلافات قد ترجى مودتها إلا عداوة من عـاداك في الـدين

كما حصل للوالد الشيخ: علي بن علي جعوان الحجوري -حفظه الله- هـذا الرجل طلب العلم عند العبادي في عدن في زمن احتلال بريطانيا لجنوب اليمن سابقًا، وهو من زملاء وأقران البيحاني -رَحِمَهُ اللهُ-، ثم خرج إلى حجور قبل عام

١٤٠٠، ثم سافر بعدها إلى السعودية للتزود من العلم، ثم رجع إلى بلده للدعوة إلى الله، وتعليم مجتمعه دين الله.

فحصل له من الأذى في قريته ما لم يكن بحسبانه، أو يخطر بباله، فكم مرة حاولوا اغتياله، ويبطلها الله وحده، إما بعطل في البندقية، أو بأن يكتشف هو نفسه المخطط فيفشل، وإما أن لا يشعر من جلس له على الطريق لقتله إلا والرجل في بيته، لا يدري من أين أتى، وهكذا.

وفي ذات مرة، اجتمع عليه جماعة من الناس، واتَّهموه أنه مُسَحِّر، ووقَّعُوا عليه أوراقًا، مع علمهم بشدة محاربته للسحر، بل هم فيهم السحرة، وكان ينكر عليهم، وكان معروفًا عند الناس بمحاربته للسحر وأهله، حتى وصل بِهم الأمر إلى المسئولين، فلما رأوا أنّهم سيفضحون أنفسهم، وأن الرجل بريء من ذلك براءة الذئب من دم يوسف، اجتمعوا، واعتذروا له.

وكلما تحرك إلى قرية ليُعلِّم سلطوا عليه من يحاول قتله، أو أذيته، حتى يستريحوا منه، أو يشغل بنفسه، ولا يستفيد منه أحد. هذا بعد أن شغلوا مجتمعه بالقتل فيما بينهم، وهو المراد من وراء هذا ﴿وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾[البروج: ٢٠].

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا شأوه ... فالناس أعداء له وخصوم

كضرائر الحسنى قلن لوجهها ... ظلمًا وبغيًا إنه لذميم

ومجموعة من الناس وإن كانوا حزبيين، إلا أنّهم خافوا منهم، فقام بعض الشيعة الذين هم يتولّون مناصب الدولة في بلادنا، فحرشوا بينهم وبين قبيلة أخرى، وتحاربت القبيلتان، وسقط من الجانبين نحو ثلاثين قتيلاً، وارتاحوا من

الطرفين، وهم وإن كانوا حزبيين،فإنه لا يحل سفك دمائهم، والتحريش بينهم مع آخرين، وكان الواجب تبيين حالهم بالدليل والحجة والبرهان، ويحذر المسلمون منهم؛ وإن كانوا لا يعرفون الدليل، ولا الحجة، ولا البرهان، وإنما يعرفون سيدي فلان وسيطي ومولاي!

وقد قام أهل السنة بِهذا والحمد لله، -أعني: تحذير المسلمين منهم بالحجة والبيان- وأبانوا للناس الحق، حتى صار كالشمس في ربيعة النهار لكل ذي لب، أو له بصيرة.

وهذه القضية بإمكانِهم أن ينعشوها في أي وقت، إلا أن يشاء الله خلاف ذلك. وأشباه هذا كثير جدًا، بينما هم لا تسمع باثنين يختلفان، وإن اختلفوا سرعان ما تنقضي ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

وأكثر من واحد كان من المناصرين للدعوة، بنفسه وماله، ومن المنافحين عنها حتى اشتد أذى أهل الشر عليه حتى فتر وبرد وهكذا، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ٨-١٠].

وداريت كل الناس لكن حاسدي ... مداراته عزت وعز منالها

وكيف يداري المرء حاسد نعمة ... إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

فليتق الله هؤلاء الناس، ولا يظنوا أن الله غافلاً عنهم، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ. إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ. مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ. وَأَنذِرْ

النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعْ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ. وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَالَ. وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ. فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ. لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

ولا بد من يوم يفضح الله هؤلاء، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ. وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلاَ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٥-٦٧].

يوم يفضحهم الله على رؤوس الأشهاد، وينصب لكل غادر لواء عند استه، يالها من فضيحة وما أدراك ما فضيحة!

روى مسلم في «صحيحه» (١٧٣٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- المتفق عليه، «فيقال: هذه غدرة

فلان بن فلان».

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لاَ تَعْلَمُونَ. وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨-٣٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ. وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

وليحذر هؤلاء من أن يصيبهم الله في الدنيا قبل الآخرة بدعاء المظلومين.

روى البخاري في صحيحه برقم (٢٤٤٨) ومسلم (١/ ٥٣-٥٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبهًا ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وروى البخاري برقم (٤٦٨٦) وهذا لفظه، ومسلم (٢٥٨٣) عَنْ

أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

أتَهـــزأ بالـــدعاء وتزدريـــه ... ومـا تـدري مـا صـنع الـدعاء

سـهام الليـل لا تخطـي ولكـن ... لهـا أمـد وللأمـد انقضـاء

فكم من دعوة غيرت موازين دولة، وكم دعوة نكبت أمة، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم، العزيز الجبار المتكبر، أن يقصم ظهر من أراد بِهذه الدعوة سوءًا وأن يهتك ستره، ويجعله عبرة للمعتبرين.

اللهم دمر عدونا وعدوك الأكبر- في هذا العصر- الذي هو من وراء كل مكر وكيد لهذه الدعوة، أمريكا وأعوانها وأضرابها وأذنابها، اللهم اجعل الدائرة عليهم، وزلزل عروشهم، اللهم اخسف بهم الأرض تحتهم، اللهم أهلكهم إهلاك قوم عاد، وإغراق قوم نوح، اللهم اجعل أرضهم وديارهم عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، اللهم إنهم لا يعجزونك، اللهم لا تبق منهم ولا تذر، واجعلهم غنيمة للمسلمين، إنك على كل شيء قدير.

قلة الأيدي العاملة الصادقة

مما لا شك فيه أنَّ دعوة أهل السنة والجماعة دعوة شمولية، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة:٢٠٨]، أي: خذوا الدين من جميع جوانبه.

فمن ثَمَّ يحتاج الداعي إلى الله لبناء مشروع يهم الدعوة أو إصلاح شيء تملكه الدعوة، فيحتاج إلى من يقوم بذلك من ذوي الخبرات، وقد يقل ذووا الخبرات في صفوف أهل السنة، فقد لا يجد إلا من غيرهم. لكن للأسف يظهر لك الصدق والوفاء في البداية، وكذا الأمانة والإخلاص في العمل، بل قد يهين نفسه لك، فإذا أخذ الأموال كأنه لم يعرفك!

ومن أمثلة بعض المقاولين الخونة: أن مقاولاً شيعيًا من الحدا يدعى عبدالكريم الديلمي، كان يتقاول مساجد تبنى باسم السُنة، فيأخذها بأسعار رخيصة جداً مسابقة لغيره، ثم لا يفي، بل يأخذ المال، ويبني ما تيسر ويذهب، وما أكثر أعذار هؤلاء، يأتيك في الساعة الواحدة بمائة عذر!

وقاولنا في بناء مسجد ببلدنا حجور (ناحية كُشَر) رجلاً يُدعى عبدالحكيم عامر، كان يظهر الصدق والوفاء، ولو ترى الأيمان المغلظة التي كان يحلفها على إنجاز العمل بأسرع وقت، والآن للعمل من سنة (١٤٢٢)، ولم يتمه على حسب الاتفاقية، وقد استوفى الثمن كاملاً (مائة ألف ريال سعودياً، ما يقارب خمسة مليون ريال يمنياً).

المهم أنه رجل فاجر من اللصوص المحتالين، لا يفي بوعد ولا تثق له

بكلمة. إذا تكلم معك قال: أنا عبدك! خدامك، وفعله فعل عبد آبق!

لا خـــير في ود امـــرئ متملـــق حلـــو اللســـان وقلبـــه يتلهـــب

يعطيك من طـرف اللسـان حـلاوة ويـروغ منـك كـما يـروغ الثعلـب

يلقـــاك يحلـــف أنـــه بـــك واثـــق وإذا تـــوارى عنـــك فهـــو العقـــرب

نسأل الله أن ينتقم الله منه، ونحن ننتظر نهاية كل مبطل وقف في وجه هذه الدعوة المباركة.

وكم ماطل علي الظبياني (الجل) في مركز الحدا، وله عدة سنوات ولم يكمله.

ومنهم من ربما جعل هو نفسه يكيد، ويمكر لك، حتى يعرقل ذلك المشروع؛ ليأخذ المال بدون مقابل، وقد جُرِّبَ هذا في أكثر من واحد، ولعل الله أن يفضح كل ماكر وخائن، لا سيما إذا كان المشروع بيتًا لله عز و جل.

فيـا رب هـل إلا عليـك المشـتكى وهـــــل إلا عليـــــك المعـــــول

جناية أهل البدع على الدعوة

يمارس بعض أهل البدع أساليب فيما يسمونه بالدعوة، وهي في الحقيقة إساءة إلى الدعوة، شعروا أولم يشعروا، فيجنون على الدعوة الحقة شرًا مستطيرًا بأساليبهم في دعوتِهم الباطلة.

فمن أمثلة ذلك، ما فعلته الجبهة الإسلامية في الجزائر، فأدى ذلك إلى ضرب الدعوة، بسبب تصرفهم، وعدم الرجوع إلى العلماء الربانيين الناصحين.

وكذا ما حصل في قضية جهيمان في الحرم، فإنّها قد كانت دعوة ليس لها نضير، فأدى فعلهم إلى ضرب الدعوة، وقتل كثير من الأبرياء، ولا زالت الدعوة تعاني من فعلهم ذلك إلى اليوم.

ولا يخفى ما تقوم به بعض عناصر الإفساد في هذه الأيام من التفجيرات في بلاد المسلمين، مما جعل أعداء الإسلام والمسلمين وأذنابهم من المسلمين يستغلون هذه الأفعال في ضرب الدعوة الحق ودعوة أهل السنة والجماعة، والتضييق على الدعاة.

وهذه الأفعال التي يقوم بها هؤلاء فيها ظلم للأبرياء وترويع للآمنين من المسلمين وغيرها من المفاسد التي تقضي بتحريمها، وأهل السنة براء من هذه الأفعال، وقد أنكروها لأضرارها.

لكن أعداء الإسلام يستغلون مداخل أهل الباطل وطرقهم لضرب أهل الحق، وهؤلاء المبتدعة يخدمون أعداء الإسلام بأفعالهم شعروا أو لم يشعروا، فما دخل الكفار على المسلمين إلا من طريق أهل البدع. والله المستعان.

استغلال بعض المبتدعة مناصبهم في ضرب الدعوة

في بعض المناصب رجال من أهل البدع كالشيعة، والصوفية، والإخوان المسلمين بشتى فروعهم، القطبية،أو السرورية، وأصحاب الجمعيات، وغيرهم؛ فيستغل هذا المنصب في نشر بدعته، وضرب كل ما يناؤها من حق أو باطل.

ولا يخفى ما حصل للإمام أحمد بن حنبل ﷺ أيام الخليفة المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق، من حبس طويل، وضرب شديد، وعذاب أليم، حتى هدد بالقتل، بسبب أن جماعة من المعتزلة على رأسهم ابن أبي دؤاد قبحه الله، استحوذ على الخليفة المأمون، فأزاغوه، وأضلوه عن الحق، فقال بخلق القرآن، ونفى صفات الله تعالى.

فعلى من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين، أن يتقي الله، ويعدل، فإن لم ينصر الحق، فلا يعين على الباطل.

وفي صحيح مسلم برقم (١٨٢٨) عن عائشة قَالَت: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «**اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**».

إذا خـــان الأمـــير وكاتبـــاه ... وقـاضي الأرض داهـن بالقضـاء

فويـــلٌ ثـــم ويـــل ثـــم ويـــل ... لقـاضي الأرض مـن قـاضي السـماء

قلة البذل والتضحية

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر:٩-١٠].

وفي «صحيح البخاري» برقم (٣٦٣٠) و«مسلم» برقم (١٧٧١) عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ -يَعْنِي شَيْئًا-، وَكَانَتْ الأَنْصَارُ أَهْلَ الأَرْضِ وَالْعَقَارِ، فَقَاسَمَهُمْ الأَنْصَارُ عَلَى أَنْ يُعْطُوهُمْ ثِمَارَ أَمْوَالِهِمْ كُلَّ عَامٍ وَيَكْفُوهُمْ الْعَمَلَ وَالْمُؤْنَةَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَنَسٍ أُمُّ سُلَيْمٍ كَانَتْ أُمَّ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَكَانَتْ أَعْطَتْ أُمُّ أَنَسٍ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- عِذَاقًا، فَأَعْطَاهُنَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أُمَّ أَيْمَنَ مَوْلاتَهُ أُمَّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِ أَهْلِ خَيْبَرَ فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمْ الَّتِي كَانُوا مَنَحُوهُمْ مِنْ ثِمَارِهِمْ، فَرَدَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إِلَى أُمِّهِ عِذَاقَهَا، وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أُمَّ أَيْمَنَ مَكَانَهُنَّ مِنْ حَائِطِهِ.

ومن المعلوم أن دعوة أهل السنة والجماعة ليس لها بعد الله تعالى دولة

تمدها وترعاها، وليست لها ميزانية سنوية، وإنما تعتمد بعد الله في ما تقوم به على ما يقدمه أهل الخير المخلصون الذين يساعدون الدعوة بغير قيد ولا شرط ولا سؤال.

فأهل السنة والجماعة أعف الناس وأنزه الناس وأزهد الناس عما في أيدي الناس؛ ولذلك إن وجدوا ما يستعينون به على أمورهم فعلوا، وإن لم يجدوا صبروا، ولذلك فإن لم يوجد الذي يعطي لوجه الله لا يريد جزاءً ولا شكورًا إلا من الله قد تتعطل بعض أمورهم وأنشطتهم.

لذا فالواجب على كل غيور نصرة الحق وأهله بنفسه وماله وما يستطيعه، وأما من كان قد ينصر الدعوة لطمع في شخص أو لغرض دنيوي أو مصلحة يحصل عليها، فهذا ذو نية فاسدة، فقد يحصل على مراده ويترك العلم لحصول مقصوده، أول لا يحصل على مقصوده ويترك من باب أولى، وإنما الأعمال بالخواتيم، والله يصلح النيات، ومثل هذا ينبغي أن لا يعان؛ لأنه قد يتسبب في نكبة الدعوة يومًا من الأيام.

وسائل الإعلام الهدامة

إن وسائل الإعلام صحفًا ومجلات وتلفازًا، مع ما تحمله من شر مستطير لفساد المجتمع المسلم من صور خليعة، وتعليم الكذب، والتلصص، والتزوير، وأغاني ماجنة فاتنة.

دع عنك الدش الذي ما هو إلا خراب سريع للأسر، وهدم للقيم الإسلامية، ونزع للحياء، وبث للرذيلة، وإعلان للفاحشة غالبًا، قاتل الله من أتى به إلى بلاد المسلمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النور: ١٩].

ودمر الله من روج هذه المنكرات بين المسلمين أو هوَّن من خطرها الجسيم.

كل هذه الوسائل المسموعة أو المقروءة أو المرئية تعتبر عقبة في طريق الدعوة إلى الله الحَقَّة (الدعوة السلفية) كيف لا، وهي تنشر الكذب وتجعله أناقة وسياسة!

وفي صحيح البخاري برقم (٦٠٩٤) ومسلم رقم (٢٦٠٧) -١٠٥، وهذا لفظه: عن ابن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا».

ويكذبون الكذبة تبلغ الآفاق، وفي صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧) عن سمرة بن جندب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ.

وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله ! مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ. قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى. قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ الله مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ – قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ- قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاءِ؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ- وَإِذَا

فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلاً مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيْ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ مَا هَؤُلاءِ؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلا أَحْسَنَ. قَالَ: قَالا لِي: ارْقَ فِيهَا. قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ.

قَالَ: قَالا لَهُمْ: اذْهَبُوا، فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ. قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. قَالَ: قَالا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ. قَالَ: قَالا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ. قَالا: أَمَّا الآنَ فَلا، وَأَنْتَ

دَاخِلَهُ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنْ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ...» الحديث.

وإني لأرى هذا الحديث ينطبق تمامًا على هؤلاء.

والدعوة السلفية دعوة صدق وصفاء ونقاء. وفي وسائل الإعلام هذه تصوير ذوات الأرواح التي هي بذاتِها محرمة، بل من كبائر الذنوب والآثام، ومضاهاة لخلق الله، وذريعة للشرك بالله تعالى، مع ما فيها من انحلال وسفور، وتكشف وعري، الذي هو بريد الزنا.

والدعوة السلفية دعوة عفة وطهارة وتوحيد لله تعالى، وتَهتم بالجوهر قبل اهتمامها بالمظهر؛ لأن المظهر دليل الجوهر والباطن. والتمثيليات التي هي الزور والكذب.

وفي صحيح البخاري برقم (٥٢١٩) ومسلم (٢١٣٠) عن أسماء: أَنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**».

فيأتي أحدهم يتمثل بإنسان وليس هو إياه، فيجمع بين جريمتين،هما التمثيل بصورة رجل ما، والكذب عليه (حشفًا وسوء كيله).

وذات مرة نشرت إذاعة صنعاء الأفاكة تمثيلية: أن رجلاً سلفيًا -زعموا- وهو يحرم الهاتف وركوب السيارة والأكل بالملاعق إلى غير ذلك من

الافتراءات التي يفترونَها على أهل السنة، وأهل السنة منها براء، وليست هذه بأول واحدة منهم، وأيضًا ليست بالأخيرة. ومرة نشر التلفاز تمثيلية يمثلون فيها الإمام البخاري ﷺ وصوروه وهو يغازل فتاة، خبتم وخسرتم، والذين مثلوه هم الإخوان المسلمون لا جزاهم الله خيرًا، وإن تعجب فعجب قولهم: أغضنا الشيعة!

يا أيها الأمة الحمقاء ما أغضتم بِهذا الشيعة، وإنما أفرحتموهم وأفرحتم كل عدو للإسلام وكل حاقد على المسلمين، أن يكون مؤلف أصح الكتب المصنفة رجلاً عاشقًا غراميًا. بل أعظم من ذلك أنه ذات مرة نشر التلفاز تمثيلية للصحابي الجليل خالد بن الوليد سيف الله، وهو يغازل فتاة في أثناء حروبه مع الكفار، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٦].

حقيقة أن هذه الوسائل لم تجعل لمصلحة الإسلام والمسلمين، وإنما صنعها أعداء الإسلام لاجتثات جذور الإسلام لا لنشره، وهذ هو الغالب في استعمال المسلمين لها في الغالب، إلا ما ندر، كإذاعة القرآن الكريم، فهي صافية من الأغاني، إلا أنه في الآونة الأخيرة هجم عليها التحزب المقيت، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أما إذاعة صنعاء فكالمستجير من الرمضاء بالنار، جمعت الشر والبلاء، وإذا أتوا فيه بفتاوى أو أسئلة أو ما يسمونه برنامج أهل العلم، فكما يقول شيخنا يحيى حفظه الله: مهزلة. يأتون بواحد مخزن، وربما مبردق لا هو من أهل العلم، ولا يعرف الفتيا قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة: ٧٩].

ولشيخنا يحيى حفظه الله رسالة بعنوان:«جلسة ساعة مع فتوى الإذاعة» وله شريط أخر في الصحفيين، أتي فيهما بخير كثير، وبيّن فيهما بعض بوائق هؤلاء، وإلا فلا يحصي ما هم فيه من الشر إلا الله، نفع الله بِهما الإسلام والمسلمين.

خاتمة

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣].

فكل إنسان كائنًا من كان في خسارة إلا المؤمنين الذين عملوا الصالحات، وتواصوا بالحق في إتباعه والثبات عليه، والصبر على الأذى فيه.

فأولًا التمسك بالحق (الكتاب والسنة) على فهم السلف الصالح، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

ويقول الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا* وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا* وَإِذًا لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا* وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء: ٦٥-٦٩].

وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[الأعراف:٣].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ

الْمُبِينُ﴾[النور:٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٦-١٥٨].

وفي صحيح البخاري برقم (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران:١٠١].

فالزم يديك بحبل الله معتصمًا ... فإنه الركن إن خانتك أركان

واتباع الكتاب والسنة مقيد بفهم السلف الصالح قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٣٧].

فالاعتصام بالكتاب والسنة و الثبات على ذلك مهما كانت الابتلاءات.

روى البخاري برقم (٤٥٦٣) عن ابن عباس: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣].

وتجلـــــدي للشـــــامتين أريهـــــم أني لريـــــب الـــــدهر لا أتزعـــــزع

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص:٨٣]، وقال الله عزوجل: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ* قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ* قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٢٧-١٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور:٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:١٧١-١٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ

اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران:١٣٩-١٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء:١٠٥].

فنحن على وعد من رب العالمين بالنصر والتمكين ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[التكوير:٢٨]، وهذه العوائق ذكرتها ليجتنبها أبناء هذه الدعوة، وليعلم أعداء الدعوة أن أهل السنة والجماعة- سددهم الله - بفضل الله سبحانه غير غافلين عن مكر أعدائهم وكيدهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[آل عمران:١١٨].

ومع ذلك فلن يضروا إلا أنفسهم، والحق منصور قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ. ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[آل عمران:١١١-١١٢].

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

تقديم ٤
مقدمة الطبعة الثانية ٥
عدم الإخلاص أو ضعفه ٨
عدم الصبر أو ضعفه..... ١٤
أصحاب الأوجه المتعددة ١٦
الاشتغال بالدنيا ١٨
التقهقر..... ٢٤
أسباب التقهقر..... ٢٧
الفهم الخاطئ ٣٤
الديون..... ٣٧
التعجل في الأمور ٤٢
الحسد..... ٤٥
التفرق ٤٩
المسألة..... ٥١
التصدر قبل التأهل..... ٥٥
التعصب للأشخاص ٥٧
الغلو..... ٦٠

التمييع ٦٣
التأويل الفاسد ٦٥
التخاذل ٦٧
الغفلة ٦٩
الفتن ٧٢
تربص أعداء الدعوة بها ٧٤
التعليم الفاشل ٨١
الحزبية ٨٧
مكر أيادي خفية بالدعوة ٩٠
قلة الأيدي العاملة الصادقة ٩٧
جناية أهل البدع على الدعوة ٩٩
استغلال بعض المبتدعة مناصبهم في ضرب الدعوة ١٠٠
قلة البذل والتضحية ١٠١
وسائل الإعلام الهدامة ١٠٣
خاتمة ١٠٩
الفهرس ١١٣